Qassim University
جامعة القصيم
Chair for Serving Heritage of the Prophet

المرأة والدعوة في عصر النبوة

أ. د. سليمان بن حمد العودة

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

كرسي الشيخ عبد الله بن صالح الراشد الحميد
لخدمة السيرة النبوية والرسول صلى الله عليه وسلم

ⓒ جامعة القصيم ، كرسي السيرة النبوية وخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العودة ، سليمان بن حمد

المرأة والدعوة في عصر النبوة ./ سليمان بن حمد العودة ـ بريدة ، ١٤٣٣ هـ

١١٢ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٠-١٧- ٨٠١٨-٦٠٣ - ٩٧٨

١-المرأة في الإسلام ٢ - الدعوة الاسلامية أ. العنوان

ديوي ٢١٦ ٣٨٧٨ / ١٤٣٣

رقم الإيداع : ٣٨٧٨ / ١٤٣٣

ردمك : ٠-١٧- ٨٠١٨-٦٠٣ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ٣٨٧٨ / ١٤٣٣

ردمك : ٠-١٧- ٨٠١٨-٦٠٣ - ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
المقدمة	٩
المبحث الأول: ميادين دعوة المرأة في زمن النبوة:	١٣
المطلب الأول: المرأة والدعوة مع الزوج:	١٥
المطلب الثاني: المرأة والدعوة مع الأولاد:	٣١
المطلب الثالث: المرأة والدعوة مع الآباء والأمهات:	٣٩
المطلب الرابع: المرأة والدعوة مع الأخوة:	٤٣
المطلب الخامس: المرأة والدعوة مع بنات جنسها:	٤٧
المبحث الثاني: من أساليب المرأة في الدعوة	٥٥
المطلب الأول: الثبات على الحق في زمن الشدائد:	٥٦
المطلب الثاني: البلاغ المذكّر:	٦١
المطلب الثالث: النفقة في سبيل الدعوة:	٦٣
المطلب الرابع: البيعة على الإسلام وقول الحق أينما كن:	٦٧
المطلب الخامس: الهجرة في سبيل الله:	٦٩
المطلب السادس: احتساب المرأة (أو المرأة والحسبة):	٧٣
المطلب السابع: المرأة والجهاد:	٧٩
دروس وعبر من (فقه دعوة المرأة):	٩٩
فهرس المصادر والمراجع	١٠٥
فهرس الموضوعات	٥

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فإني أشكر الله إذ يسر لي المساهمة في كرسي يعني بالرسول ﷺ وصحابته الكرام، كما أشكر جامعة القصيم حيث تحتضن هذا الكرسي.

وحيث تأتي في أولويات أهداف كرسي الشيخ عبد الله بن صالح الراشد الحميد لخدمة السيرة والرسول ﷺ تعميم ثقافة السيرة النبوية، وتوسيع دائرة الإطلاع على مفردات وقيم خير القرون، فقد جاء الاهتمام بطباعة عددٍ من الكتب والرسائل العلمية والبحوث المتميزة لتحقيق هذا الهدف، وهذه الكتب والرسائل والأبحاث وإن اختلفت في عناوينها فيظلُّ محورُها الرئيس محمدًا ﷺ وصحبَهُ.

وحين يُقدم كرسي الشيخ عبد الله الصالح الراشد لخدمة السيرة والرسول ﷺ على طباعة عددٍ من الكتب في هذا الميدان فهو على قناعة بأن هذه الأعمال العلمية مما يطول ويدوم أثره، وهو إن خدم الباحثين والمتخصصين في ميدان التاريخ عامة وميدان السيرة النبوية بوجه أخص فخدمته لعموم المسلمين بل وغير المسلمين لا تخفى، على أننا نتطلع أن تكون الخطوة اللاحقة هي خطوة الترجمة - وبعددٍ من اللغات الحية - لهذا المنجز العلمي حتى تَعُم الفائدة غير العرب وغير المسلمين.

ومهما كان التأليفُ والعرضُ عن سيرة محمد ﷺ وسيرة أصحابه خير القرون كثيرًا، فلا تزال الحاجةُ تُلحُّ على المزيد لعظمة هذا التاريخ من جانب، فقائده يحمل تزكيات السماء ومحبة أهل الأرض، ومن جانب آخر فالمنجز الحضاري والقيمي لهذا التاريخ يستحق الإشارة والتجديد في العرض والكتابة.

إن من دواعي سرور المسؤولين والقائمين على هذا الكرسي أن تصل رحمة محمد ﷺ للعالمين عبر تواصل حضاري يمثل الكتاب معبره.

وشرف للكرسي أن يساهم في تقليص مساحة الأمية عن أخلاق نبي الرحمة، وشرف آخر حين يهتدي من ضل الطريق إلى الإسلام بفضل الله أولاً، ثم بفضل قراءة أي من هذه الكتب في مجال السيرة النبوية.

وفى زمن التنافس الحضاري وعولمة الفكر، يتقدم أتباع شرائع السماء والمقتدون بهدي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومحمد ﷺ في مقدمتهم (فبهداه اقتده) وعسى أن تحقق هذه الكتب المطبوعة هذا الهدف النبيل، والله من وراء القصد.

راعي الكرسي

عبد الله بن صالح الراشد الحميد

مقدمة

حين يكون الحديث عن الدعوة إلى الله فهو حديث عن أحسن القول ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣]، وهو حديث عن المفلحين ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤].

وهو حديث عن سبيل الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم إلى يوم الدين ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨].

وهو حديث عن عظيم الأجر واستمراره (من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه..) وهذا الفضل شامل للرجل والمرأة، إذ أن النساء شقائق الرجال[1] والمرأة مكلفة كالرجل وحيثما جاء النص الشرعي فهو شامل للرجال والنساء إلا ما دل الدليل على تخصيصه وفي هذا يقول الخطابي رحمه الله: (إن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابًا للنساء إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها.[2]

والمتأمل في حياة المرأة في - زمن النبوة – يرى أنها كانت حاضرة ومشاركة لم تنفصل عن أحداثه ولم تنقطع أو تُهمل في صياغة الحياة، جاءت الرسالة المحمدية فاستجابت لها، وبُعث محمد . صلى الله عليه وسلم . فكانت أول المؤمنين به، وجاءت الهجرة للحبشة والمدينة فكانت في طلائع المهاجرين ووقع الأذى على المؤمنين ولم تُستثنى أو تسلم منه المرأة، وكانت الدعوة - وهو مجال حديثنا – فكان للمرأة إسهام وفضل.. إن في المرحلة المكية أو المدنية، وبمفهوم الدعوة الشامل ومجالاتها المتعددة.

---

(١) حديث أخرجه أبو داود في سننه ١ / ٦١ ج ٢٣٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١ / ٤٦ وأخرجه الترمذي ١ / ١٨٩ ج ١١٣

(٢) معالم السنن للخطابي، شرح سنن أبي داود ٢ / ١٦٢

فما مجال إسهام المرأة في الدعوة في زمن النبوة؟ وكيف كانت أساليبها في الدعوة.؟ وأي فئة استهدفتها المرأة في الدعوة؟

ما نتائج دعوتها؟ وهل من عقبات أو معوقات اعترضت سبيلها في الدعوة؟ وما هي الدروس أو العبر المستفادة والمستنبطة من دعوة المرأة؟

ولعلنا في بداية الحديث نطرح سؤالاً ونجيب عليه، والسؤال يقول:

لماذا نعني ونؤكد على الدعوة في صفوف النساء؟ هذا سؤال مهم ويكن اختصار الإجابة على أهمية هذا الأمر في عدة أمور منها:

١- مساهمة المرأة في تحقيق الخيرية لهذه الأمة، فخيريتنا مربوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله، بنص القرآن والسنة.

٢- المرأة تمثل نصف المجتمع أو تزيد، ومن الخير توعية هذا النصف وإصلاحه، ومن الهدر والتقصير عدم العناية به.

٣- وموقع المرأة في الأسرة المسلمة من الأهمية بمكان، فهي الحارس الأمين، وهي البوابة للحصون، وهي المدرسة الأولى للجيل، وصلاح المجتمع مرهون بصلاحها، ولذا توجهت السهام الموتورة إليها، والدعوة سبيل لحفظها ووقايتها بإذن الله من سهام الأعداء حتى لا تخترق حصوننا من داخلها.

٤- تحتل قضايا المرأة أهمية كبرى لدى الأمم، وتعقد من أجلها مؤتمرات، وتخرج فيها قرارات وتوصيات خطيرة ومؤثرة، وهي في غالبها تتنكر لشريعة الإسلام، وتلغي قيم المرأة المسلمة، وبالدعوة والعناية بالمرأة تكشف حقيقة هذه المؤتمرات والمؤامرات، والانطلاق من سيرة خاتم المرسلين. صلى الله عليه وسلم. تؤصل هذه الدراسة، وتكسبها أهمية خاصة.

٥- ضعف الدعوة في صفوف النساء بشكل عام، وضعف التجديد في الآليات والوسائل المواكبة للعصر، وتنشيك هذه واقتراح البرامج بات أمرًا ملحًا.

٦- عاطفة المرأة وسرعة استجابتها يؤكد الحاجة للدعوة، ويقدم لها البديل النافع عن الدعوات المشبوهة التي تتاجر بقضيتها.

٧- المشاريع العلمانية المضللة للمرأة، بقي لها من الأثر ما يستدعي الكشف والمصارحة ورفض الفكر الوافد، وهذا يُكشف بالدعوة ويجلي بالبرهان لاسيما في زمن باتت الهوية الدينية شعارًا للعالم، ومؤسف أن يتشبث اليهود والنصارى وغيرهم بهويتهم . وإن كانت منحرفة . ويضل المسلم عن هويته المفقودة!!

٨- والطرح الإعلامي المنهزم والذي صور قضايا المرأة من وجهة نظر نبتت في غير أرضها وسيقت بغير شجرة الإسلام.. كل ذلك يحتاج إلى جلاء بوسائل الدعوة المختلفة.

٩- وثمة نشاط دعوي نسوي يحتاج إلى تشجيع ودعم، وتوسيع الدائرة إنما يتم بالدعوة وأساليبها المختلفة.

١٠- والمرأة نفسها . كغيرها من الناس . بحاجة إلى استمرار على الطاعة، وثبات على الحق والاستقامة، والدعوة ليست إحياءً للآخرين فحسب، بل هي سبب لإحياء ذات الإنسان الداعية قبل غيره، فالداعية تفيد نفسها قبل إفادة الآخرين، وتنقذ نفسها قبل إنقاذ الآخرين.

١١- وحين تكون الانطلاقة من نصوص السيرة النبوية، وتكشف الدراسة عن أنماط من الدعوة في زمن النبوة، فذلك تأصيل لدعوة المرأة، وحافز للمرأة المعاصرة على الإسهام في الدعوة إلى الله في أكثر من مجال.

وقد جاء البحث مقسمًا على مبحثين رئيسيين، وتحت كل مبحث عدد من المطالب.

المبحثان الرئيسيان هما:

المبحث الأول: ميادين دعوة المرأة في زمن النبوة وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني: من أساليب المرأة في الدعوة وفيه سبعة مطالب.

المبحث الأول:

ميادين دعوة المرأة في زمن النبوة

المستقرئ لدعوة المرأة في زمن النبوة يطلع على سعة الميادين التي كانت مجالا لدعوة المرأة ومن هذه الميادين:

المطلب الأول: المرأة والدعوة مع الزوج:

١- التسلية والتثبيت:

لا ريب أن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيد الدعاة وقدوتهم، ولقد كانت زوجته خديجة رضي الله عنها المؤمنة والداعية الأولى، فهي أول من أسلم كما تقول عائشة رضي الله عنهما[١] ومكثت مع رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصليان سرًا ما شاء الله كما قال الزهري.[٢]

وإذا كانت هموم الدعوة من الثقل بحيث يحتاج الداعية إلى تسلية وإيناس، فلقد كان لخديجة رضي الله عنها دور فاعل وأثر إيجابي في تسلية زوجها وحبيبها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فكيف إذا إنصاف إلى التسلية تثبيت على الأمر وتقوية للعزيمة، إنها المرأة العظيمة (خديجة) آنست رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسلته وثبتته في أشد أحواله، وذلك حينما نزل عليه الوحي – أول مرة – .

قال ابن إسحاق – واصفًا نزول الوحي وموقف خديجة رضي الله عنها: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانصرفت راجعًا إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفًا إليها[٣] فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عم

---

(١) الطبقات ٨ / ١٧ وبه قال قتادة والزهري، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وابن إسحاق وجماعة، ولم يستثنوا أحدًا قبلها (الاستيعاب ٤ / ١٨١٩)

(٢) المصدر السابق ٨ / ١٧

(٣) أي مائلاً ومستندًا إليها: لسان العرب ٢ / ٥٦١

وأثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة[1] وكانت تفرج عنه همومه من المشركين وتثبته وتصدقه، وتهون عليه ما يلقى من قومه – كما نقل ابن عبد البر.[2]

إنه الاهتمام بشأن الزوج " لقد بعثت رسلي في طلبك " ثم التسرية والتثبيت عند حدوث الهموم والأذى، أو عند نزول الأمر الجلل (الوحي) وانظر في عباراتها (أبشر واثبت) كيف جمعت بين التسرية والتثبيت؟ ألا ما أحوج الدعاة إلى هذا النوع من النساء، وما أكرم المرأة حين تشارك المرأة زوجها همومه الدعوية، وتكون عونًا وسندًا وناصرًا ومثبتًا!

ولك أن تتصور مبلغ (الروع) الذي بلغه . صلى الله عليه وسلم . وأنت تقرأ رواية البخاري وتجد فيها – مع ذلك – زيادة تسلية للنبي . صلى الله عليه وسلم . حين تذكر من مكارمه وشيمه ما يبدد المخاوف، ويزيد في اليقين، فرسول الله . صلى الله عليه وسلم . يعود إلى خديجة – بعد نزول الوحي – يرجف فؤاده ويقول: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، وحين أخبر خديجة الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي، قالت له بلغة واثقة: (كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).[3]

لقد كانت هذه العبارات في بيدأ من الجاهلية والإعراض، وتوقع الصدود والإنكار فكانت بلسمًا شافيًا، وهكذا فمهما وجد الداعية من أجواء الصدود والإعراض عن دعوته فحسبه تثبيت أقرب الناس إليه، ويسليه إيمان الأقربين بدعوته، لكن خديجة رضي الله

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية – تحقيق همام وصعيليك ١ / ٣٠١

(٢) الاستيعاب ٤ / ١٨٢٠

(٣) صحيح البخاري، بدء الوحي ج ٣١

عنها تضيف فوق هذا تخفيف المخاوف المستقبلية والتنويه بالقدرات والأخلاق المعينة على الدعوة وتبعاتها.

لا غرابة بعد ذلك أن يعلن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حبها (إني قد رزقت حبها[1]

وأن يعترف لها بالفضل والسابقة والمؤازرة (آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس..)[2]

٢ – ثبات المرأة وإن زاغ زوجها:

الإيمان الصادق عامل من عوامل الثبات في الأزمات، وإذا كان يحمد للمرأة مشاركة زوجها في الإيمان والدعوة للحق، فكيف إذا ثبتت المرأة على الإسلام مع مخالفة زوجها؟

وهنا مواقف ثلاثة تُذكر للمرأة وتحمد عليهما:

يمثل الموقف الأول أم سليم الغميصاء ويقال الرميصاء، وسهلة، ورميلة[3] بنت ملحان رضي الله عنها مع زوجها: مالك بن النظر، فقد أسلمت أم سليم وزوجها غائب، فلما قدم استنكر إسلامها، وقال لها: أصبوت؟ قالت: ما صبوت، ولكني آمنت بهذا الرجل.[4]

وهكذا وكما استنكر (مالك) زوجها فقد أنكرت هي أن تكون (صبئت) وأجابت بلغة واثقة مؤمنة (ولكني آمنت بهذا الرجل).

يقال هذا في بيئة تعتبر الخروج عن المألوف (صبوة) ومع أقدر الناس على عقوبة المرأة وهو الزوج فلله در (أم سليم) حين تلقن النساء دروسًا في الثبات على الحق وإن خالف الزوج.

---

(١) صحيح مسلم ج ٢٤٣٥

(٢) مسند أحمد (الفتح الرباني ٢٠ / ٢٤٠) وقال الهيثمي: إسناده حسن (مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٧)

(٣) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٤٢٤

(٤) المصدر السابق ٨ / ٤٢٥

أما الموقف الثاني فتمثله (حواء بنت يزيد بن سنان الأنصارية) فقد أسلمت وكتمت عن زوجها (قيس بن الخطيم الشاعر) إسلامها وكان يدخل عليها فيراها تصلي فيأخذ ثيابها ويضعها على رأسها: ويقول: إنك لتدينين دينًا لا يُدرى ما هو، ثم قدم قيس مكة وكان النبي . صلى الله عليه وسلم . علم بإسلامها وما تلقاه من زوجها، فأمره أن يكف عنها فاستجاب لذلك، فلما بلغ رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: وفى الأدعج، ويرى ابن حجر أن إسلامها كان بين العقبة الأولى والثانية، ووصية النبي . صلى الله عليه وسلم . لقيس بها في العقبة الثانية (الإصابة) وعزاه ابن إسحاق في السيرة وغيره.

إنه الاغتراب في الإسلام، والصبر على السخرية والأذى، ولكن العاقبة للتقوى.

ويمثل الموقف الثالث وقد يكون أبلغها في الثبات موقف (أم حبيبة) رضي الله عنها من زوجها (عبيد الله بن جحش) حيث هاجرت معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وأرتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها، كما قال ابن سعد.[1]

ولندع (أم حبيبة) رضي الله عنها تروي لنا قصتها مع زوجها حيث تقول: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أرى دينًا خيرًا من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات.[2]

---

(١) الطبقات ٨ / ٩٦

(٢) الطبقات ٨ / ٩٧. وأخرج القصة الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٠، ٢٢ – وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وأنكره في السير ٢ / ٢٢١

وكذلك تضرب المرأة نموذجًا في الثبات حتى وإن زاغ أقرب الناس إليها وإن كان أبوها (أبو سفيان) من صناديد الكفر – في ذلك الزمن – لقد اجتمع على المرأة، ظروف الغربة (بأرض الحبشة) وردة الزوج ومخالفة الأب والعشيرة.. ومع ذلك صبرت وثبتت، وكانت خليقة بالمكافأة، ولعل زواج النبي . صلى الله عليه وسلم . بها بعد ذلك مكافأة لثباتها وتثمينًا لموقفها.

٣ - دعوة الزوج للحق:

تجاوزت المرأة في زمن النبوة - الثبات على الحق مع مخالفة الزوج، إلى دعوته للإسلام سواء كان مسلما من قبل ثم ارتد- كما في قصة أم حبيبة (السابقة) حيث أخبرته بسوء عاقبة ردته (والله ما خير لك) ثم خوفته برؤيا رأتها عساه أن يعود لكن دون جدوى - وقد سبق بيان ذلك -

أو كان الزوج مشركا ولم يسلم بعد، فتكون الزوجة سببا في إسلامه ونجاته من النار، ذلك موقف يذكر لأم سليم رضي الله عنها مع زوجها الآخر (أبو طلحة) فقد خطبها وهو مشرك فأبت عليه وقالت له: أرأيت حجرا تعبده ولا يضرك ولا ينفعك أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك هل يضرك؟ هل ينفعك؟ قال: فوقع في قلبه الذي قالت، وآمن، وكان صداقها الإسلام[1] وفي رواية أخرى أنها قالت لأبي طلحة: أما تستحيي تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ قالت: فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأزوجك نفسي؟ لا أريد منك صداقا

(١) الطبقات ٨ / ٤٢٦ ، وأخرجه النسائي ٦ / ١١٤ في النكاح، باب التزويج على الإسلام ورجال ابن سعد ثقات، وسند النسائي صحيح، انظر سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٠٥ وتعليق شعيب الأرناؤوط هامش (٢)، وقال ابن حجر في الإصابة ١٢ / ٢٢٧ ولهذا الحديث طرق متعددة.

غيره؟ قال لها: دعيني حتى انظر، قال فذهب فنظر، ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قالت: يا أنس قم فزوج أبا طلحة.[1]

وهنا في (دعوة المرأة زوجها) تنبيه وملمح تربوي، وهدي نبوي، فمع ما يُذكر للمرأة من دعوة زوجها للخير، وتُشكر على جهودها في النصح للزوج فلا ينبغي أن تصاحب هذه الدعوة ما يثير الزوج إلى حد الغضب والسباب فيتحول المعروف إلى منكر، وربما غلب (الوزر) (الأجر)، إذ غضب الزوج عظيم، وهدف الدعوة تحقيق الخير وتأكيد المعروف، والخصام بين الزوجين فضلاً عن فراقهما من عمل الشيطان، والدعوة حكمة وموعظة حسنة.

فلتحذر المرأة ذلك حتى ولو قصَّر الزوج في شيء من أمور العبادة لضعف فيه أو لعذر عنده ولتحذر أن تستفزه بعمل شيء من القربات لا يأذن به، أو تشكوه في منعه إياها لطاعات – قد تكون طاعته مقدمة عليها – .

ولهذه المعاني والملامح تُذكر قصة زوج صفوان بن المعطل رضي الله عنه وعنها حين شكته للنبي . صلى الله عليه وسلم . فما هي القصة؟ وما هو توجيه النبي . صلى الله عليه وسلم . حيالها؟

أخرج أبو داود – بسند صحيح – عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم . وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ وَيُفَطِّرُنِي إِذَا صُمْتُ وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ قَالَ فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا قَوْلُهَا يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتُهَا قَالَ فَقَالَ لَوْ كَانَتْ سُورَةً وَاحِدَةً لَكَفَتْ النَّاسَ وَأَمَّا قَوْلُهَا يُفَطِّرُنِي فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَا أَصْبِرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا وَأَمَّا قَوْلُهَا إِنِّي لَا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ

(١) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٤٢٧

الشَّمْسُ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ لَا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ.[1]

إن من فقه المرأة في الدعوة مراعاة الأولويات وتقدير حاجيات الزوج، والنظر بعمق لتحقيق المصالح المشتركة بين الزوجين.. ليس الشأن مجرد دعوة الزوج – أيًا كانت النتائج والآثار- وإنما الشأن في الترغيب في الخير وقبول النصح.. ولاسيما في نوافل القربات ومسنونات الأقوال والأفعال..

إن فقه المرأة لهذه القضية في الدعوة – بشكل عام – ومع الزوج على وجه الخصوص يحقق نتائج طيبة، ويدفع الآثار السيئة.

٤ - مساندة الزوج بالمال:

إذا كان المال ضروريا للحياة فالدعوة تحتاج باستمرار إلى المال ولقد ضربت المرأة المسلمة في زمن النبوة بسهم وافر في هذا الميدان ونعم المال الصالح للرجل أو المرأة الصالحة، ومن بين ما تنكح المرأة له مالها.

وحين نعود للمرأة الأولى في الإسلام (خديجة) رضي الله عنها نجد أنها واست النبي . صلى الله عليه وسلم . بمالها وكانت صاحبة مال تتاجر به وتؤجر الآخرين للاتجار به، وقد ذهب محمد . صلى الله عليه وسلم . قبل البعثة بتجارة لخديجة إلى الشام، فلما تزوج النبي . صلى الله عليه وسلم . بها وكانت صاحبة مال سخرت هذا المال في سبيل الله وخدمة الدعوة لدينه، وقد اعترف النبي . صلى الله عليه وسلم . بهذا الفضل وقال: (وواستني بمالها إذ حرمني الناس)[2] ومن مواساتها وطواعيتها للنبي . صلى الله عليه

(١) انظر: صحيح سنن أبي داود ، كتاب الصوم، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها ، وقد صحح الحديث ابن حجر في الإصابة ، وأجاب على إشكالات وتضعيف من ضعفه (الإصابة: ٥ / ١٥٣).

(٢) المسند لأحمد (الفتح الرباني ٢٠ / ٢٤٠) وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٧.

وسلم. بالمال أنها حين رأت ميل رسول الله. صلى الله عليه وسلم. إلى زيد بن حارثة - وكان في ملكها – وهبته له فكانت سببًا فيما حازه زيد من السبق للإسلام[1].

وكان لها في حصار الشعب مؤازرة وإطعام، فقد روى ابن إسحاق أن حكيم بن حزام خرج يومًا ومعه إنسان يحمل طعامًا إلى عمته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله. صلى الله عليه وسلم. وهو في الشعب إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد: تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده؟ فأبى أبو جهل أن يدعه.[2]

٥ – تشجيع الزوج على بذل الخير:

قد لا يكون عند المرأة مال تدعم وتساند زوجها ولكنها تستطيع القيام بدور المشجع والمذكر والمبارك لعمل الخير، وحين يقطع بأثر المرأة على الزوج – إن في الإنفاق أو في الإمساك – فمما تذكر به المرأة أن تكون عونا لزوجها على فعل الخير، وفي زمن النبوة وجدت نماذج مشجعة على فعل الخير وكان (لأم الدحداح) رضي الله عنها موقف صدق وتشجيع لزوجها (أبي الدحداح) رضي الله عنه حين تصدق بحائطه في المدينة وباعه في نخلة بالجنة - وكان أغلى ما يملك – فلما جاء يعلمها الخبر ويقول: يا أم الدحداح أخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة؟ قالت: (ربح البيع) أو كلمة تشبهها.[3]

ولك أن تتصور بستانًا مزهرةً يخرج منه الزوج عند سماعه بنعيم الجنة فتشاركه الزوجة مشاعره وتبارك له خطوته، إنه الإنفاق الكبير، وكبح جماح النفس عن الشح

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١٢ / ٢١٦.

(٢) السيرة ص ١٤٠، ١٤٢، تحقيق محمد حميد الله (ط الرباط).

(٣) أخرجه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩ / ٣٢٤).

والأثرة والبخل والأنانية، وإذا عُدّ من (هنات) المرأة تثبيط الزوج عن النفقة وتذكيره بمجبنة الولد ومبخلة - ولا كثر الله هذا النوع من النساء – فتعد في كرائم النساء تلك التي تساعد على الخير وتشجع على الإنفاق، وأولئك من أطول النساء يدًا.. وأسرعهن في الصدقة وأكثر الله من أمثال هؤلاء النسوة.

ويتكرر المشهد مرة أخرى مع (أم سليم) رضي الله عنها زوج (أبي طلحة) رضي الله عنه وقد عجب الله من صنيع الزوجين (أبو طلحة، أم سلمة) مع ضيفين قدما على النبي - صلى الله عليه وسلم . فلم يجد عند نسائه شيئًا، فقال: ألا رجل يضيف هذا الليلة يرحمه الله؟ فقال رجل (أبو طلحة) أنا يا رسول الله، فذهب إلى زوجته فقال: هذا ضيف رسول الله لا تدخريه شيئًا، واتفقا على أن يقدما للضيف قوت الصبية، بعد أن يطفئا السراج، ويوهم الضيف بأنهم يشاركونه الأكل وهم ليسوا كذلك، فعجب الله من صنيعهم وأنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر ٩].[1]

٦ – الجوار والتأمين:

ربما كانت المرأة سببًا في إسلام زوجها لجوارها إياه، أو تأمينها له ممن يطلبه، أخرج ابن سعد بسند صحيح عن الشعبي كما قال ابن حجر[2] أن زينب بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . كانت تحت أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت مع أبيها، وأبى أبو العاص أن يسلم[3] ثم شهد أبو العاص وقعة بدر مع المشركين فأسر وحين جاء أخوه (عمرو) لفدائه أرسلت معه زوجته (زينب) قلادة من جزع كانت خديجة أدخلتها بها

---

(١) البخاري في التفسير (ويؤثرون على أنفسهم) ح ٤٦٠٧ ، ورواه مسلم ح ٢٠٥٤ وصرح بذكر اسم (أبي طلحة) فتكون زوجته (أم سليم رضي الله عنها) والآية في سورة الحشر: ٩.

(٢) الإصابة ١٢ / ٢٧٣.

(٣) الطبقات الكبرى ٨ / ٣١

على أبي العاص، فلما رآها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عرفها ورق لها، وكلم الناس فأطلقوا (أبا العاص) ورد على (زينب) القلادة.[1]

وإذا كان هذا فضلاً من زينب على زوجها، فالفضل الأكبر حين أجارته وكانت سببًا في إسلامه وذلك حين أسرت سرية زيد بن حارثة نفرًا من قريش خرجوا إلى الشام في عير قريش، وكان منهم (أبو العاص) فلم يعد أن جاء المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بسحر وهي امرأته فاستجارها فأجارته، فلما صلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟ قالوا: نعم، قال: فو الذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت.

فلما أنصرف النبي . صلى الله عليه وسلم . إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه ففعل، وأمرها ألا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركًا، ورجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم أسلم ورجع على النبي . صلى الله عليه وسلم . مسلمًا مهاجرًا، في المحرم سنة سبع من الهجرة، فرد عليه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . زينب بذلك النكاح الأول.[2]

أرأيتم كيف كان دور المرأة في إسلام زوجها، وكيف عادت هذه الإجارة (النسوية) بعودة (أبي العاص) مسلمًا مهاجرًا؟

---

(١) الطبقات ٨ / ٣١

(٢) الطبقات ٨ / ٣٣

كما وقع مثل ذلك من (أم حكيم بنت الحارث) رضي الله عنها زوج (عكرمة بن أبي جهل) رضي الله عنه فقد أسلمت (أم حكيم) عام الفتح وأتت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فبايعته.[1]

ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن أم حكيم بنت الحارث ابن هشام أسلمت يوم الفتح، واستأذنت النبي . صلى الله عليه وسلم . بطلب زوجها عكرمة فأذن لها وأمَّنَه.[2]

وقال ابن حجر: شهدت (أم حكيم) (أحدًا) وهي كافرة، ثم أسلمت في الفتح، وكان زوجها فر إلى اليمن فتوجهت إليه بإذن من النبي . صلى الله عليه وسلم . فحضر معها وأسلم.[3]

عكرمة رضي الله عنه ابن (فرعون هذه الأمة) وهو من الشدة والعدوان على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . والإسلام ما يُعلم.. ولكن شاء الله له أن يسلم، وشاء أن يكون لزوجته (أم حكيم) سبب في هذا الإسلام.. حيث أذهبت كبرياء الجاهلية عنه بتأمين رسول الله . صلى الله عليه وسلم . له، فجاء بطوعه واختار الإسلام، وكذلك يفعل الله ما يشاء وبأيسر الأسباب، وإلا فمن يتوقع إسلام عكرمة وهو إلى فتح مكة ربما فكر أن يكون خليفة (أبيه) في المحاربة والعدوان إلا و أن المرأة – على ضعفها وهي أحدى الضعيفين – ربما قويت على ما يعجز عنه الرجال الأقوياء؟

٧ – مشاركة الزوج في الهجرة:

لم تكن الهجرة (سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة) سياحة يتنزه فيها المهاجرون، بل كانت ضربًا من ضروب المجاهدة، حيث يعز على النفس مفارقة العشيرة والوطن..

---

(١) الطبقات ٨ / ٢٦١

(٢) الإصابة ١٢ / ١٩٧

(٣) المصدر السابق.

ولم تكن الهجرتان (إلى الحبشة، وإلى المدينة) لمجرد التخلص من أذى قريش ومطاردتها للمؤمنين، بل كانت مع ذلك لونًا من ألوان جهاد الدعوة.

ولم يختص الرجال بفضل هاتين الهجرتين بل كان للمرأة شرف المشاركة مع أزواجهن وقد عد ابن إسحاق مجموعة من المهاجرات للحبشة (في الأولى والثانية) مع أزواجهن.[1]

وهذا دليل على مشاركة المرأة لزوجها في الدعوة للإسلام حيث كان ذلك من بواعث الهجرة وأهدافها، وكانت الهجرة كذلك دليلاً على صبر المرأة وتحملها في سبيل الله، ومن المؤكد أن للغربة آلامها وللهجرة ضريبتها، وهذا ما عبرت عنه أسماء بنت عميس رضي الله عنها وهي ممن مكثت بأرض الحبشة قرابة أربعة عشر عامًا (من السنة الخامسة للبعثة حتى السنة السابعة للهجرة) مع زوجها جعفر رضي الله عنه، حين قالت في حوارها مع عمر رضي الله عنه " كنتم مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله "[2]

ولهذا بشرها النبي . صلى الله عليه وسلم . ومن وراءها من المهاجرين بقوله: " بل لكم يا أصحاب السفينة هجرتان "[3]، وحين يذكر جهاد المرأة بالهجرة وصبرها على الشدائد، فلا ينسى موقف أم المؤمنين (أم حبيبة) رضي الله عنها في أرض الحبشة حين أرتد زوجها فثبتت – وقد سبق البيان – ولا ينسى بحال موقف (رقية) بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وقد هاجرت مع زوجها عثمان رضي الله عنهما إلى الحبشة، وقد

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ١ / ٣٩٨ - ٤٠٨

(٢) البخاري ٥ / ١٨٠، ومسلم ٤ / ١٩٤٦

(٣) البخاري في المغازي غزوة خيبر ٧ / ٣٧١، ٣٧٢ – ومسلم في فضائل الصحابة (جعفر وأسماء) ح ٢٥٠٣، وطبقات بن سعد ٨ / ٢٨١

عده ابن إسحاق أول من هاجر ومعه رقية[1]، وقد ورد عنه . صلى الله عليه وسلم . أن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط.[2]

أما موقف (أم سلمة) رضي الله عنها في حديث الهجرة للمدينة فهو عجب من العجب يؤكد إصرار المرأة وصبرها وعلو همتها وعظيم تضحيتها، ويكفي أن تورد قصتها وآل بيتها في الهجرة ليوقف على مواطن العجب، جاء في صحيح مسلم: أول بيت هاجر إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بيت أبي سلمة.[3]

وقد أخرج ابن إسحاق – بسند حسن – قصة كفاح وصبر أم سلمة في الهجرة حتى وصل الأمر إلى خلع يد طفلها – حين تنازع فيه أهلها وأهل زوجها – وفُرّق بين المرأة وزوجها ومكثت سنة أو قريبًا منها تخرج إلى الأبطح فتضل تبكي حتى تمسي، حتى رق لحالها من ليس على دينها وأذن لها قومها بالهجرة فلحقت بزوجها، وعبَّرت أم سلمة عن صبرها وتحملها بقولها (والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة).[4]

وهل يغيب عن البال أن بعض المهاجرات في المدينة هاجرت وقد بلغ حملها نهايته، وما أن وصلت المدينة حتى وضعت حملها، كما وقع لأسماء بنت أبي بكر وولادة عبد الله بن الزبير فهو أول مولود.

٨ – مواساة الزوج والصبر على المصيبة:

عاطفة المرأة تفوق عاطفة الرجل – في الغالب – وصبر الرجل أعلى من صبر المرأة – غالبًا – إلا أننا أمام جيل قد تغلب المرأة بصبرها على صبر زوجها، وقد تتجاوز عواطفها

---

(١) ابن هشام: السيرة ١ / ٣٩٨

(٢) البسوي: المعرفة والتاريخ ٣ / ٢٥٥

(٣) مسلم ٢ / ٦٣٢ كتاب الجنائز

(٤) السيرة لابن هشام ٢ / ٧٧، ٧٨. وانظر: السيرة في الصحيحين وعند ابن إسحاق ص ٣٥٨

وتنجح في التسرية عن مصاب زوجها تلكم قصة أم سليم مع أبنها المتوفى، وزوجها (الموتور) فما هي أحداث القصة؟

كان لأم سليم ابن يقال له (أبو عمير) وكان النبي . صلى الله عليه وسلم . يمازحه ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير؟[1].

فمرض الغلام وأبوه (أبو طلحة) غائب في بعض حيطانه، فهلك الصبي، فقامت أمه فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوبًا وقالت: لا يكون أحد يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره فجاء أبو طلحة، فتطيبت له وتصنعت له وجاءت بعشاء، فقال: ما فعل أبو عمير فقالت: تعشه فقد فرغ، فتعشى وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، ثم قالت أم سليم: يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية، فطلبها أصحابها أيردونها أو يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم، قالت: فاحتسب أبا عمير، فانطلق كما هو إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بقول أم سليم، فقال . صلى الله عليه وسلم .: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما».[2]

إنها المواساة الجميلة، والحوار العقول، وكظم الغيظ والتجمل والانبساط رغم الحزن والأسى، كذلك ارتقت المرأة في - زمن النبوة – إلى هذا المقام، ومهما تحدث الدعاة – رجالاً كانوا أم نساءً – عن الصبر على المصيبة، أو مواساة الزوج فلن يبلغوا ما بلغت أم سليم رضي الله عنها.

ومن يتق الله يجعل له مخرجا.. وقد عوض الله الزوجين الصابرين – وللمرأة قدحه المعلى – بمولود آخر بارك الله فيه وله بدعوة محمد . صلى الله عليه وسلم ، فما كان

---

(١) أخرجه البخاري: انظر – الفتح ١٠ / ٥٨٣ - ٥٨٥

(٢) الطبقات ٨ / ٤٣١ ، وقريب من هذا السياق جاء في صحيح مسلم ح ٢١٤٤

في الأنصار ناشئ أفضل من المولود الجديد الذي سماه النبي . صلى الله عليه وسلم . (عبد الله) بن أبي طلحة.[1]

وفي رواية ثالثة: أن صبر (أم سليم) على فقد حبيبها (أبي عمير) جدد صبر زوجها وقال حين أخبرته " والله لا تغلبينني الليلة على الصبر) فغدا على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فأخبره ودعا لهما ثم جاء الغلام الجديد (عبد الله).

قال أحد الرواة: " عبابة " فلقد رأيت لذلك الغلام سبعة بنين كلهم قد ختم القرآن.[2]

تلكم أثر من آثار المرأة المباركة الصابرة المحتسبة، فأين النساء من هذا النموذج؟

على أن صبر المرأة على المصاب لم تكن أم سليم نموذجه الوحيد، فأسماء بنت عميس شخب ثديها دمًا حين كظمت غيظها على قتل ابنها محمد بن جعفر وقامت تصلي في مصلاها[3]

---

(١) الطبقات ٨ / ٤٣٣ ❖ أخرجه البخاري ٨٥٣

(٢) الطبقات ٨ / ٤٣٤

(٣) ابن حجر: الإصابة ٧ / ٤٩٠ - تحقيق البجاوي.

المطلب الثاني: المرأة والدعوة مع الأولاد:

مسؤولية المرأة في بيتها ومع أولادها مسؤولية كبرى، ودعوتها وتربيتها لأبنائها وبناتها جهد يستحق العناية ويستجيب للمطالب الشرعية (والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها)

والراصد لدعوة المرأة في زمن النبوة مع أولادها يقف على الجهود الدعوية التالية:

١ – تربية الناشئة:

تربية الناشئة على مقامات الإسلام ومكارم الأخلاق والإعداد للمستقبل جهد قامت به المرأة المسلمة في زمن النبوة.

ومن يجهل أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وحافظ السنة وهل يخفى أن وراء تربيته أمه (أم سليم) رضي الله عنها، فقد كانت عنايتها بطفلها مبكرة، حيث كانت تلقنه الشهادتين، وتشير إليه وتقول: قل لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمدًا رسول الله، ويفعل الغلام ذلك فتثور ثائرة الأب (المشرك) لا تفسدي عليّ ابني، فترد الأم (المربية) إني لا أفسده.[١]

وربما تأخرت الأم عن الزواج بسبب عنايتها بابنها (أنس) وهي التي كانت تقول – حين خطبها أبو طلحة – لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس، فيقول: جزى الله أمي عني خيرًا لقد أحسنت ولايتي.[٢]

لقد هاجر النبي . صلى الله عليه وسلم . إلى المدينة، وأنس غلام لم يجاوز العاشرة من عمره، فجاءت به أمه تعرضه على النبي . صلى الله عليه وسلم . ليخدمه، وليستفيد من أخلاق النبي . صلى الله عليه وسلم . وتربيته ما تعجز عنه الأم فقبله النبي . صلى الله عليه وسلم . وخدم النبي . صلى الله عليه وسلم . عشر سنين، ولقد شهد (بدرًا) وإن لم

---

(١) الطبقات ٨ / ٤٢٥

(٢) الطبقات ٨ / ٤٢٦

يذكر في البدريين لأنه خرج خادمًا للنبي . صلى الله عليه وسلم . ولم يكن في سن من يقاتل.[1]

وإمعانا في استقامة الغلام وكثرة مناقبه فقد طلبت أمه (أم سليم) رضي الله عنها من النبي . صلى الله عليه وسلم . حين زارهم وصلى في بيتهم – غير المكتوبة – ودعا لأم سليم ولأهل بيتها أن يخص أنسًا بالدعاء فقالت: لي إليك خويصة يا رسول الله، قال وما هي؟ قالت: خادمك أنس (يعني تدعو له) فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به لأنس، ثم قال: اللهم ارزقه مالاً وولدًا وبارك له، قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه قد دفن لصلبي إلى مقدم الحجاج البصرة تسعا وعشرين ومائة.[2]

أجل لقد بلغت عناية المرأة بغلامها مبلغها، ووعى الغلام وشب على المكارم والمعالي، وكان أقرب الناس إلى هدي النبي . صلى الله عليه وسلم . حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله . صلى الله عليه وسلم . من ابن أم سليم يعني أنسًا.[3]

وكما استقام في أمر الدين.. فقد استقامت له الدنيا، وكان بعد أهلاً لتحمل المسؤوليات الجسام، ويكفيه تزكية الشيخين (أبي بكر وعمر) فحين استخلف أبو بكر بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين على السعاية، فدخل عليه عمر فاستشاره، فقال: ابعثه فإنه لبيب كاتب، فبعثه.[4]

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١ / ١١٣

(٢) الطبقات: ٨ / ٤٢٩

(٣) الإصابة: ١ / ١١٤

(٤) الإصابة: ١ / ١١٤

ويصدق على أنس القول بأن خلف كل عظيم امرأة.. فكيف إذا كانت أمه سببًا في قربه وخدمته لسيد العظماء؟

ونموذج آخر من نماذج تربية المرأة (أسماء بنت أبي بكر الصديق) مع غلامها عبد الله بن الزبير، أول مولود للمسلمين بعد الهجرة، وأحد الشجعان من الصحابة، حملت به أمه في مكة فجاء حدث الهجرة للمدينة وهي متمة، فتحملت به عناء السفر – في سبيل الهجرة لله ولرسوله - فلما بلغت قباء ولدت الغلام، ثم أتت به النبي . صلى الله عليه وسلم . فوضعه على حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم بصقها في فيه، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ثم مسحه وصلى عليه وسماه (عبد الله)، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه.[1]

قال ابن الزبير: هاجرت وأنا في بطن أمي[2].

آتت تربية عبد الله بن الزبير ثمارها فمع كونه في عداد صغار الصحابة سنا فقد كان كبيرا في العلم والشرف والجهاد والعبادة كما قال الذهبي[3] وكان يسمى حمامة المسجد[4] ولم يمنعه الملك والرئاسة من العبادة فكان مع ملكه صنفًا في العبادة.[5]

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود وحمله إلى صالح ليحنكه (ح ٢١٤٦)

(٢) الإصابة: ٦ / ٨٦

(٣) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣٦٤

(٤) المصدر السابق: ٣ / ٣٦٧

(٥) المصدر نفسه: ٣ / ٣٦٨

وتستمر الأم (أسماء) في تربية ومتابعة ابنها (عبد الله) حتى بلغ ما بلغ، وحين اقتربت أيامه من نهايتها كانت توصيه وتقول: يا بني عش كريمًا، ومت كريمًا، لا يأخذك القوم أسيرًا.[1]

بل تواصل عناية الأم (أسماء) بابنها (عبد الله) حتى غسلته بعدما تقطعت أوصاله وكفنته وصلت عليه، وحين رفض الحجاج طلبها ذلك طلبت ذلك من عبد الملك بن مروان فأذن لها فدفنته في المدينة في دار صفية أم المؤمنين، وقبره قريب من قبر النبي . صلى الله عليه وسلم ..[2]

وهل تعلم المرأة المسلمة أن وراء الفتاة اللبيبة والأم العظيمة (عائشة رضي الله عنها) أمٌ عظيمة أخرى (أم رومان) حيث كانت توليها من العناية، وتعدها لمستقبل الأيام، فقد أورد ابن سعد عن الواقدي أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حين توفيت خديجة حزن عليها حزنًا شديدًا، فبعث الله إليه جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال: يا رسول الله هذه تُذهب بعض حزنك وإن فيها خلفاً من خديجة، ثم ردَّها، فكان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يختلف إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ويقول: يا أم رومان استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها، فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها، فأتاهم رسول الله يوما في بعض ما كان يأتيهم، وكان لا يخطئه يوما واحدا أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم إلى أن هاجر، فيجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاء حزينا، فسألها فشكت أمها فذكرت أنها تولع بها، فدمعت عينا رسول الله ودخل على أم رومان فقال: يا أم رومان ألم أوصك بعائشة تحفظيني فيها؟ فقالت: يا رسول

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٩٣

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٣٧٩

الله إنها بلغت الصديق عني وأغضبته علينا. فقال النبي . صلى الله عليه وسلم .: وإن فعلت، قالت أم رومان: لا جرم لا سَؤتها أبدا.[1]

٢ – الدفاع عن النبي . صلى الله عليه وسلم .:

من الحصافة وعمق الوعي أن تربي الأم أولادها على حب النبي . صلى الله عليه وسلم . والدفاع عنه، فالدفاع عنه دفاع عن الإسلام، ومحبته وإتباعه . صلى الله عليه وسلم . محبة لله تعالى، وفي ترجمة أروى بنت عبد المطلب نقل ابن سعد عن الواقدي الحديث التالي: عن برة بنت أبي تجراة قالت: عرض أبو جهل وعدة من كفار قريش للنبي . صلى الله عليه وسلم .، فآذوه فعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه ضربة شجة، فأخذوه وأوثقوه، فقام دونه أبو لهب (خاله) حتى خلاه فقيل لأروى: ألا ترين ابنك طليبا قد صير نفسه غرضا دون محمد؟ فقالت: خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله، فقالوا: ولقد تبعت محمداً؟ قالت: نعم..[2].

قال ابن سعد: وسمعت من غير محمد بن عمر يذكر أن أروى قالت: يومئذ إن طليبا نصر بن خاله، آساه في ذي ذمة وماله.[3]

هذا نموذج لدفاع المرأة ونصرة الشباب لمحمد . صلى الله عليه وسلم .، واليوم وحين تزداد الهجمة على المصطفى . صلى الله عليه وسلم . نتذكر هذا النموذج المبكر من الدفاع والنصرة، ونتطلع إلى نماذج معاصرة من النساء تنصر النبي . صلى الله عليه وسلم . في نفسها وتربي أولادها على الدفاع عن خير البرية . صلى الله عليه وسلم .، وتجعل منهم فداءً لمحمد . صلى الله عليه وسلم ..

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٧٨، ٧٩

(٢) الطبقات: ٨ / ٤٢، ٤٣ ـ ابن حجر: الإصابة: ١٢ / ١٠٩ وعنده (إن خير أيامه يوم ينصر ابن خاله)

(٣) المصدر السابق: ٨ / ٤٣

٣ – دوام المتابعة وتثمين الشهادة:

ليس أصعب من التربية، فهي ليس مجرد كلمة تقال، ولا موقف يُتخذ وينتهي الأمر، بل هي صبر ومصابرة، وتوجيه دائم ومتابعة من مثل قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه ١٣٢]، وحين تُفلح الأم في تنشئة أولادها على الخير فذلك نجاح، لكن النجاح الأكبر حين يستمر الأولاد (ذكرانًا وإناثًا) على الثبات على الحق، ويُتوفون حين تنتهي آجالهم على الخير وتُثمن الأم شهادتهم في سبيل الله - ذلك وإن كان فضلاً من الله وتوفيقًا – فلا شك أن عناية الوالدين وحرصهم سبب من أسباب هذا القدر الإلهي.

ويُذكر للمرأة الداعية – في زمن النبوة – فوق عنايتها بتربية النشء ابتداءً، متابعتهم والسؤال عن أحوالهم حتى النهاية، ذلك موقف يُذكر لأم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة، فقد أتت النبي . صلى الله عليه وسلم . - يوم بدر - فَقَالَتْ: " يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ قَالَ يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى "[١]

وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تتطلع إلى نهاية ابنها (عبد الله بن الزبير) وتقول حين زارها ابنها عبد الله، وكانت وجعة فقال لها: إن في الموت لعافية، قالت: لعلك تشتهي موتي، فلا تفعل، وضحكت، وقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك ؛ وإما أن تظفر فتقر عيني، إياك أن تُعرض على خطة فلا توافق، فتقبلها كراهية الموت.[٢]

قال عروة: وإنما عنى أخي أن يقتل، فيحزنها ذلك.

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهم غرب فقتله (انظر: الفتح ٦ / ٢٦ ح ٢٨٠٩).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٩٣.

وهكذا يكون التجلد والصبر .. بل يكون طموح الأم نحو نهاية ابنها، فهو الصبر والاحتساب حين القتل – على الحق – وهو قرار العين بالنصر والظفر..

ما أحوج الأمهات إلى هذه الرؤى، وإلى داوم التربية على معالي الأمور، فتلك نساءٌ تصنع الأجيال وتعلي همم الرجال، وأين هذا من نساء همهن ملبس الولد ومطعمه، سلاحها البكاء من أدنى نازلة، وربما عاقت ابنها عن الدعوة، أو حرّجته عن الجهاد الحق في سبيل الله إذا توفرت أسبابه وإذا اتضحت راياته، وأمنت فتنته؟

المطلب الثالث: المرأة والدعوة مع الآباء والأمهات:

وللمرأة في - زمن النبوة - جهد يذكر في المساهمة مع آبائهن في تحمل الدعوة، ومساندة الأب الداعية، وإذا كان يذكر للمرأة المسلمة حسن برها بأبيها، فلعل من أبر البر مشاركته في همومه الدعوية إن كان داعية، أو دعوتهم والتلطف معهم بالهدايا والصلة إن كانوا غير مسلمين تأليفا ودعوه لهم إلى الإسلام.

وبقراءة السيرة نخلص مع المرأة إلى الصور التالية:

١- مشاركة الأب في الدعوة:

كان بيت أبي بكر نموذجًا للبيت المسلم، يتعاون أفراده على البر، ويشاركون في عمل الخير وأسماء بنت أبي بكر نموذج نسوي لهذا البيت الراقي، فهي تشارك أباها في دعوته وهجرته وموقفها حين الهجرة مشهور في صحاح السنة وكتب السيرة، وهل سميت بذات النطاقين إلا في أحداث الهجرة وهي التي تقول: صنعت في سفرة النبي . صلى الله عليه وسلم . في بيت أبي حين أراد أن يهاجر فلم أجد لسفرته ولا لسقائهما ما أربطهما، فقلت لأبي: ما أجد إلا نطاقي، قال: شقيه باثنين فاربطي بهما، قال: فلذلك سميت ذات النطاقين.[1]

٢ - صلة الأم ودعوتها:

أقبلت والدة أسماء (قتيلة) من مكة إلى المدينة زائرة لابنتها وهي لم تسلم بعد، فترددت أسماء، فهي أمها ولها حق عليها، ولكن الإسلام باعد بينهما، فبعثت للنبي .

---

(١) انظر: الطبقات ٨ / ٢٥٠. وهو في البخاري ٧ / ١٩٣، ١٩٤ في المناقب، باب الهجرة، وفي كتاب الأطعمة، ورواه أحمد: ٦ / ٣٤٦

صلى الله عليه وسلم . تقول: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك.[1]

وفي أخرى أن أمها قدمت على أسماء بهدايا فلم تقبلها حتى سألت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فنزلت: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة ٨].

وعند ابن سعد: تفصيل أكثر حيث قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد أحد بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية بهدايا زبيب وسمن وقرظ فأبت أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقال: لتدخلها ولتقبل هديتها، قال وأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ .[2]

وهل أسلمت (قتيلة) هذه؟ أوردها المستغفري في الصحابيات وقال تأخر إسلامها، وقال أبو موسى: ليس في شيء من الروايات ذكر إسلامها، وقولها " وهي راغبة " ليست تريد في الإسلام بل في الصلة، ولو كانت مسلمة لما احتاجت أسماء أن تستأذن في صلتها، إلا أن تكون أسلمت بعد ذلك، قال ابن حجر في نهاية ترجمتها – في القسم الأول – قلت: إن كانت عاشت إلى الفتح فالظاهر أنها أسلمت[3] وقال النووي: واختلف العلماء في إسلامها والأكثرون على موتها مشركة[4].

---

(١) البخاري في (الجزية، والأدب، والهبة) ٦ / ٢٠١، ١٠ / ٣٤٧، ٥ / ١٧١، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣). وابن سعد في الطبقات ٨ / ٢٥٠

(٢) الطبقات ٨ / ٢٥٢

(٣) الإصابة: ١٣ / ٩٤

(٤) النووي: شرح مسلم ٧ / ٨٩

أقول: ولعل وفادتها على أمها كانت سببًا في إسلامها، وذِكرُ ابن حجر لها في القسم الأول يعزز ذلك، فإن ترجح ذلك كان نموذجًا لصلة المرأة أمها، أو على الأقل نموذجًا لدعوة المرأة لأمها.

أما قصة وفادة أبي سفيان على ابنته أم حبيبة في المدينة حين جاء يؤكد عقد هدنة الحديبية والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد غزو مكة، وأن أم حبيبة منعته أن يجلس على فراش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمكانه من الشرك، فقد ذكرها ابن سعد[1] لكن كأن الذهبي يضعفها حين ساقها بالقول: وقيل أن أم حبيبة...[2].

٣ - الدفاع عن الأب الداعية ورعايته:

دفاع الأولاد عن آبائهم وأمهاتهم أمر طبيعي – لمكانة الأبوين وعاطفة الأولاد تجاههما – ولكن الدفاع حيت يتجاوز العاطفة إلى النصرة الشرعية، وإبطال كيد المجرمين والدعاء عليهم فتلك التي تُعد مؤشرًا للدعوة وميدانًا من ميادينها، فكيف إذا كان العدو من أكابر المجرمين، والمدافع (أحد الضعيفين) المرأة؟

لقد قامت فاطمة بنت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضي الله عنها بدور المدافع الشهم والمنتصر الشجاع لأبيها ونبيها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أراد به المشركون سوءً، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ جاء عقبة بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام فَأَخَذَته مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْمَلَا مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ

(١) الطبقات: ٨ / ٩٩، ١٠٠

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٢٢

وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ[1] وفي صحيح مسلم (فانبعث أشقى القوم فأخذه – سلى الجزور – فوضعه بين كتفي النبي . صلى الله عليه وسلم . حين سجد فاستضحك القوم حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي - جويرية – فطرحته عنه..)[2]

وإذا كان هذا صنيع فاطمة رضي الله عنها وهي شابة – جويرية – فلقد كان لها مع أبيها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . صنيع آخر – وهي كبيرة – تمثلت في مداواتها ورعايتها لجرح أبيها في أحد حين كُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسكب عليها الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.[3]

وإذا كان من حق الدعاة الصادقين على عموم المسلمين الدفاع عن أعراضهم حين تُنتهك بغير حق، والانتصار لهم حين يظلمون دون سبب، فإن نصرة القريب لقريبه أولى وأحرى، ذلك ما تعلمنا إياه نصوص السنة والسيرة وتبرزه للمرأة، وتدعوا الحاجة إليه كلما تطاول المجرمون وأُوذي الخيرون.

---

(١) - البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي . صلى الله عليه وسلم . وأصحابه من المشركين في مكة ح ٣٦٤١

(٢) - صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي . صلى الله عليه وسلم . من أذى المشركين والمنافقين ٣ / ١٤١٨ ح ١٧٩٤

(٣) - صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ٣ / ١٤١٦ ح ١٧٩٠

المطلب الرابع: المرأة والدعوة مع الأخوة:

١ – الدعوة للإسلام:

يعيش الإنسان غالبًا مع أخوته وأخواته، وتأثر وتأثير بعضهم ببعض أمر طبيعي، والمتأمل في حياة المرأة في زمن النبوة يرى أنها كانت ذات تأثير إيجابي على إخوانها، وأول ما يتبادر إلى الذهن قصة فاطمة بن الخطاب مع أخيها عمر – في قصة إسلامه – دخل عليها وزوجها (سعيد بن زيد) وعندهم (خباب بن الأرت) رضي الله عنهم، فلما سمعوا صوت عمر تغيب خباب في مخدع لهم، وغيبت فاطمة صحيفة كانت معها فيها قرآن، ثم وقع من عمر الاعتداء على أخته، حتى صارحته ورفضت إعطاءه صحيفة القرآن، وتحدته، فلما رأى عمر ذلك تأثر.. فكانت بدايته للدخول في الإسلام[١] والقصة وإن أُعلت في إسنادها[٢] إلا أن ابن عبد البر قال: خبرها (فاطمة) في إسلام عمر خبر عجيب[٣].

وزينب بن حجش أم المؤمنين رضي الله عنها حين توفيت رؤي أخوها (أبو أحمد بن جحش) يحمل سريرها ويبكي وهو مكفوف، فقال له عمر: يا أبا أحمد تنح عن السرير لا يعنك الناس، وازدحموا على سريرها، فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإن هذا يبرد حر ما أجد[٤].

وإذا كان واردًا أن قصد أخيها بالخير زواجها بالنبي . صلى الله عليه وسلم . وكونها واحدة من أمهات المؤمنين فيرد كذلك أنها كانت ذا أثر عليهم في الدعوة والتعليم.

---

(١) انظر القصة بطولها ونصها وكما رواها ابن إسحق في السيرة لابن هشام: ١ / ٣٦٨

(٢) انظر: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق د – سليمان العودة ص ١٨٩ هامش (١)

(٣) الاستيعاب: ٤ / ١٨٩٢

(٤) الطبقات: ٨ / ١١٣

ولا ينسى في مقام جهود المرأة مع إخوتها موقف الشجاعة والصدق الذي وقفته (سفانة بنت حاتم الطائي) حين أصابتها خيل رسول الله . صلى الله عليه وسلم ،، فقدمت بها على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فجعلت في فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرّ بِهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَامَتْ إلَيْهِ وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزْلَةً فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ فَامْنُنْ عَلَيّ مَنّ اللّهُ عَلَيْك. قَالَ وَمَنْ وَافِدُك؟ قَالَتْ عَدِيّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ الْفَارّ مِنْ اللّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَرَكَنِي، حَتّى إذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ مَرّ بِي، فَقُلْت لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ. قَالَتْ حَتّى إذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرّ بِي وَقَدْ يَئِسْت مِنْهُ فَأَشَارَ إلَيّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قَوْمِي فَكَلّمِيهِ قَالَتْ فَقُمْت إلَيْهِ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ فَامْنُنْ عَلَيّ مَنّ اللّهُ عَلَيْك؛ فَقَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ فَعَلْتُ فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِك مَنْ يَكُونُ لَك ثِقَةً حَتّى يُبَلّغُك إلَى بِلَادِك، ثُمّ آذِنِينِي. فَسَأَلْت عَنْ الرّجُلِ الّذِي أَشَارَ إلَيّ أَنْ أُكَلّمَهُ فَقِيلَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ وَأَقَمْت حَتّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ وَإِنّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشّامِ. قَالَتْ فَجِئْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ. قَالَتْ فَكَسَانِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً فَخَرَجْت مَعَهُمْ حَتّى قَدِمْت الشّامَ قَالَ عَدِيّ: فَوَاَللّهِ إنّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِي، إذْ نَظَرْت إلَى ظَعِينَةٍ تَصُوبُ إلَيّ تُؤْمِنَا، قَالَ فَقُلْت ابْنَةُ حَاتِمٍ قَالَ فَإِذَا هِيَ هِيَ فَلَمّا وَقَفَتْ عَلَيّ انْسَحَلَتْ تَقُول: الْقَاطِعُ الظّالِمُ احْتَمَلْتَ بِأَهْلِك وَوَلَدِك، وَتَرَكْت بَقِيّةَ وَالِدِك عَوْرَتَك، قَالَ قُلْت: أَيْ أُخَيّةُ لَا تَقُولِي إلّا خَيْرًا، فَوَاَللّهِ مَا لِي مِنْ عُذْرٍ لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْت. قَالَ ثُمّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي، فَقُلْت لَهَا: وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرّجُلِ؟ قَالَتْ أَرَى وَاَللّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا، فَإِنْ يَكُنْ الرّجُلُ نَبِيّا فَلِلسّابِقِ إلَيْهِ فَضْلُهُ وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَذِلّ فِي عِزّ الْيَمَنِ، وَأَنْتَ أَنْتَ. قَالَ قُلْت: وَاَللّهِ إنّ هَذَا الرّأْيُ، قَالَ: فَخَرَجْت حَتّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْت عَلَيْهِ

وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْت عَلَيْهِ فَقَالَ مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْت: عَدِيّ بْنُ حَاتِمٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَانْطَلَقَ بِي إلَى بَيْتِهِ فَوَاَللّهِ إنّهُ لَعَامِدٌ بِي إلَيْهِ إذْ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ فَاسْتَرْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلاً تُكَلّمُهُ فِي حَاجَتِهَا، قَالَ قُلْت فِي نَفْسِي: وَاَللّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ قَالَ ثُمّ مَضَى بِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى إذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ تَنَاوَلَ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوّةٍ لِيفًا، فَقَذَفَهَا إلَيّ فَقَالَ اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ قَالَ قُلْت: بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ بَلْ أَنْتَ فَجَلَسْت عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْأَرْضِ قَالَ قُلْت فِي نَفْسِي: وَاَللّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ ثُمّ قَالَ إيهِ يَا عَدِيّ بْنَ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًا؟ قَالَ قُلْت: بَلَى قَالَ: أَوْ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِك بِالْمِرْبَاعِ؟ قَالَ قُلْت: بَلَى، قَالَ فَإِنّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلّ لَك فِي دِينِك: قَالَ قُلْت: أَجَلْ وَاَللّهِ وَقَالَ وَعَرَفْت أَنّهُ نَبِيّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ ثُمّ قَالَ لَعَلّك يَا عَدِيّ إنّمَا يَمْنَعُك مِنْ دُخُولٍ فِي هَذَا الدّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ فَوَاَللّهِ لَيُوشِكَنّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتّى لَا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ وَلَعَلّك إنّمَا يَمْنَعُك مِنْ دُخُولٍ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوّهِمْ وَقِلّةِ عَدَدِهِمْ فَوَاَللّهِ لَيُوشِكَنّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنْ الْقَادِسِيّةِ عَلَى بَعِيرِهَا (حَتّى) تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ وَلَعَلّك إنّمَا يَمْنَعُك مِنْ دُخُولٍ فِيهِ أَنّك تَرَى أَنّ الْمُلْكَ وَالسّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ وَاَيْمُ اللّهِ لَيُوشِكَنّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ قَالَ فَأَسْلَمْت.[1]

وهكذا كانت (سفانة) سببًا في قدوم أخيها (عدي) على النبي . صلى الله عليه وسلم . وإسلامه.

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ٤ / ٢١١، ابن حجر: (الإصابة ١٢ / ٣٠٦) وساق ابن كثير القصة ثم قال: هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جدًا عزيز المخرج (البداية والنهاية ٥ / ٦٧، ٦٨).

٢- الصبر على المصاب:

تُحمد المرأة حين تصبر على فقد أقرب الناس إليها، وحين تحتسب هذا الصبر عند الله فهي تدعوا النساء بأسلوب عملي إلى الصبر والاحتساب في فقد الأحباب، وصفية بنت عبد المطلب - رضي الله عنها – عمة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأخت حمزة رضي الله عنه (أسد الله وأسد رسوله) حين بلغها الخبر عن استشهاد أخيها حمزة (في أحد) ذهبت لتنظر إليه، فلقيها الزبير (ابنها) فقال: أي أمة إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يأمرك أن ترجعي، قالت: ولمَ؟ ولقد بلغني أنه مُثِّل بأخي وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن واحتسبن إن شاء الله، فجاء الزبير إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فأخبره، فقال: خل سبيلها، فأتت إليه واستغفرت له، ذكره ابن إسحاق[١].

وحمنة بن جحش رضي الله عنها (زوج مصعب بن عمير) رضي الله عنه وأخت (عبد الله بن جحش) رضي الله عنه حين قامت النساء – منصرفه . صلى الله عليه وسلم . من أحد – يسألن عن أهليهن، فلم يخبرن حتى أتين النبي . صلى الله عليه وسلم . فلا تسأله امرأة إلا أخبرها، فجاءت (حمنة) فقال: يا حمنة احتسبي أخاك (عبد الله بن جحش) قالت: إن لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له، ثم قال: يا حمنة احتسبي خالك (حمزة بن عبد المطلب) فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له، ثم قال يا حمنة: احتسبي زوجك (مصعب بن عمير) فقالت: يا حرياه! فقال النبي . صلى الله عليه وسلم .: إن للرجل لشعبة من المرأة ما هي له شيء.[٢]

وحين قال لها النبي . صلى الله عليه وسلم .: كيف قلت على مصعب ما لم تقولي على غيره؟ قالت: يا رسول الله ذكرت يتم ولده[٣].

---

(١) من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق، عن الزهري، وعاصم بن عمر (انظر: ابن حجر: الإصابة / ١٣ / ٢٠)

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٢٤١

(٣) المصدر السابق: ٨ / ٢٤١

المطلب الخامس: المرأة والدعوة مع بنات جنسها:

أقرب شيء للمرأة هي المرأة، وربما تأثرت المرأة بمثيلتها أكثر مما تتأثر بغيرها، وحين تضعف النساء في دعوة النساء، يقوم الرجال بالنيابة عنها، لكن ليس الأصيل كالبديل؟ والناظر في أحداث السيرة يرى أثرًا للمرأة على المرأة يمكن التمثيل له بما يلي:

١ – الدعوة للإسلام:

مارست المرأة الدعوة لبنات جنسها في السر والعلن، وأم شريك من نماذج الدعوة السرية للمرأة، وهي ظروف صعبة تجاوزتها المرأة، ومارست فيها الدعوة وتحملت تبعاتها.

أخرج أبو نعيم، وأبو موسى - من طرق مختلفة – عن ابن عباس قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام وهي في مكة وهي إحدى نساء قريش[1] ثم إحدى بني عامر بن لؤي وكانت تحت أبي العكر الدوسي فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم، قالت: فحملوني على بعير... الخ القصة.[2]

وإذا أُعجب المرء من ممارسة هذه المرأة للدعوة سرًا بين الناس، فأعجب من ذلك قصتها في الثبات على دينها رغم الأذى والتضييق عليها ممن حملوها – كما سيأتي بيانه –[3].

---

(١) اختلف في نسبتها إلى قريش، أو إلى بني عامر، أو إلى الأنصار (انظر: ابن حجر - الإصابة: ١٣ / ٢٣٦ وتهذيب التهذيب: ١٢ / ٤٧٢

(٢) انظر: ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٢٣٥، ٢٣٦

(٣) سنأتي على بقية القصة في ثبات المرأة على دينها، وإسلام من أذاها في أساليب دعوة المرأة

وكما دعت المرأة سرًا فقد دعت قومها للإسلام علنًا – رغم قلة علمها وحداثة عهدها بالإسلام وفي قصة المرأة – صاحبة المزادتين – نموذج للدعوة وعبرة للمرأة، والقصة أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عِمْرَانَ بن حصين قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً وَلَا وَقْعَةَ أَحْلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا فَمَا أَيْقَظَنَا إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ يُسَمِّيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ فَنَسِيَ عَوْفٌ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقَظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُمَرُ وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ وَكَانَ رَجُلًا جَلِيدًا فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ شَكَوْا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ قَالَ لَا ضَيْرَ أَوْ لَا يَضِيرُ ارْتَحِلُوا فَارْتَحَلَ فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوَضُوءِ فَتَوَضَّأَ وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ الْعَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو رَجَاءٍ نَسِيَهُ عَوْفٌ وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا فَقَالَا لَهَا أَيْنَ الْمَاءُ قَالَتْ عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ وَنَفَرُنَا خُلُوفًا قَالَا لَهَا انْطَلِقِي إِذًا قَالَتْ إِلَى أَيْنَ قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ قَالَا هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ فَانْطَلِقِي فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ قَالَ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ الْعَزَالِيَ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا وَاسْتَقُوا فَسَقَى مَنْ شَاءَ وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَكَانَ آخِرُ ذَاكَ أَنْ أَعْطَى الَّذِي أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ قَالَ اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا

وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْمَعُوا لَهَا فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهَا فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالَ لَهَا تَعْلَمِينَ مَا رَزَئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ قَالُوا مَا حَبَسَكِ يَا فُلَانَةُ قَالَتْ الْعَجَبُ لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ وَقَالَتْ بِإِصْبَعَيْهَا الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ تَعْنِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا مَا أُرَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَدَعُونَكُمْ عَمْدًا فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ[1].

وفي رواية: فهدى الله ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا[2].

ويلفت نظر القارئ في سير النساء في زمن النبوة – في مجال دعوة النساء – أثر (أم حبيبة) رضي الله عنها حين كانت بأرض الحبشة - رغم مصابها – على إحدى خادمات النجاشي وتسمى (أبرهة) فحين جاءها الخبر برغبة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بالزواج بها – وكانت أبرهة – هي رسولة النجاشي بإبلاغها – فأعطتها (أم حبيبة) سوارين من فضة، وخدمتين كانتا في رجليها، وخواتم فضة كانت في أصابع رجليها سرورًا بما بشرتها، حتى إذا وصل مهرها من النبي . صلى الله عليه وسلم . أرسلت إلى (أبرهة) شيئًا منه واعتذرت إليها بالقول: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالاً فخذيها، فاستعيني بها، فأبت وأخرجت حقًا فيه كل ما كانت أعطتها (أم حبيبة) فردته عليها وقالت: عزم علي الملك ألا أرزأك شيئًا

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب ووضوء المسلم ح ٣٤٤ – وانظر الفتح ١ / ٤٤٨ لتحديد هذه السفرة، ومسلم

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام – ح ٣٥٧١ – وانظر: الفتح ٦ / ٥٨٠

وأنا الذي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد . صلى الله عليه وسلم . وأسلمت لله[1].

وإذا كان محتملاً أن يكون إسلام جارية (أبرهة) عن طريق النجاشي، فالاحتمال الآخر أن يكون عن طريق (أم حبيبة) فلا شك أن حسن المعاملة وإعطاء الهدية، والتلطف في القول والاعتذار بأدب عن من قدم الجميل، كل هذه مفردات مهمة في الدعوة إلى الله وربما كان لها من الأثر أعظم من موعظة عابرة أو كلمة خاطفة.

فهل تدعوا المرأة المعاصرة بسلوكياتها مثل أو أعظم مما تدعوا بكلامها.. لا سيما في زمن شاع فيه الخداع والكذب، والتلون والنفاق، وعَزَّ الصدق، والقدوة والنموذج الصادق والمعبر عن الإسلام – إلا من رحم ربك –

٢ – تعليمهن أحكام الإسلام:

العلم قبل القول والعمل ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ... ﴾ [محمد ١٩].

وحين تقوم المرأة المسلمة بتعليم النساء الإسلام وأحكامه فتلك درجة عالية في الدعوة إلى دين الله وتعليم أحكام الشريعة – ليعبد الناس ربهم على بصيرة –

وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى أعظم علمٍ في العلم وتعليمه، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة[2] وقال الزهري: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل[3] وقال الذهبي: أفقه نساء الأمة على الإطلاق[4] وقال: ولا أعلم في

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٩٧، ٩٨

(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٨٨٣

(٣) الحاكم: المستدرك ٤ / ١١، وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٩ / ٢٤٣)

(٤) سير أعلام النبلاء: ٢ / ١٣٥

أمة محمد . صلى الله عليه وسلم . بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها[1] وبناءً على ما سبق قال علي رضي الله عنه: لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة[2].

إنها مفخرة النساء في الإسلام، وهذه العالمة الجليلة أفاضت من علمها على الناس عامة وكان للمرأة من ذلك نصيب وافر، أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي . صلى الله عليه وسلم . عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل قال: خذي فرصةٍ من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها، قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري، (تقول عائشة) فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي بها أثر الدم[3] وفي رواية أخرى: فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي . صلى الله عليه وسلم .[4].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك وتولت تعليمها وفيه: الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل.[5]

ومن تعليم أحكام الحيض إلى تعليم آداب الحجاب:

أخرج ابن سعد بسنده عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه قالت: رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها، فشقته عائشة عليها وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها[6]. ويطول بنا المقام لو ذهبنا نتتبع تعليم عائشة للنساء ودعوتهن للخير، بل وتعليمها

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٤٠

(٢) الكتاني: التراتيب الإدارية ٢ / ٤٣٤

(٣) صحيح البخاري: كتاب الحيض ح ٣١٤

(٤) المصدر نفسه ح ٣١٥

(٥) فتح الباري: ١ / ٤٩٦

(٦) الطبقات الكبرى: ٨ / ٧٢

للصحابة ويكفيها شهادة أبي موسى رضي الله عنه: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها فيه علمًا[1].

ولم يكن الأمر قسرًا على عائشة في تعليم النساء، فهذه (الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية) من المهاجرات الأول، ومن عقلاء النساء وأفاضلهن، كانت ترقي في الجاهلية فلما أسلمت وهاجرت عرضت على النبي . صلى الله عليه وسلم . رقيتها – وكانت ترقي من النملة – فقال ارقي بها وعلميها (حفصة)[2].

كما أن (أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل) كانت قد قرأت القرآن واستأذنت النبي . صلى الله عليه وسلم . في أن تتخذ في دارها مؤذنًا، فأذن لها وأمرها أن تؤم أهل دارها وكانت تقرأ القرآن ويسمع الناس قراءتها، حتى جاء عمر رضي الله عنه ذات ليلة فلم يسمع قراءتها فقال (والله ما سمعت قراءة خالتي البارحة) فدخل الدار فلم ير شيئًا، ثم دخل البيت فإذا هي مقتولة وملفوفة في قطيفة، قتلها غلام وجارية لها وصدقت فيها نبوءة النبي . صلى الله عليه وسلم . (أن الله سيرزقك الشهادة) وكانت تسمى الشهيدة[3].

٢ - صبرها على أذاهن:

قد تجد المرأة ما تؤذي بها صاحبتها، فيدعوها لغو الحديث أو مشاركة الآخرين لغوهم أو الغيرة، أو الشماتة، أو غير ذلك من مشاعر لا تعصم المرأة من الوقوع فيها، ولو عاشت في زمن النبوة، وهذا حيث وقع وَقَع معه صبر المرأة على ذلك وتجاوزها تلك المحنة.. وأعظم ما يُذكر في ذلك (الإفك) التي رُميت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولم يسلم من الوقوع فيها بعض النساء المسلمات، ففي صحيح البخاري أن (حمنة

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٤٠

(٢) رواه ابن منده كما نقل ابن حجر في الإصابة: ١٣ / ٥

(٣) الاستيعاب ٤ / ١٩٦٥، الإصابة ١٣ / ٣٠٤

بنت جحش) رضي الله عنها كان ممن وقع في الإفك، بل جاءت عبارة الصحيح (فهلكت فيمن هلك)[1].

لقد كان وقع هذه المحنة على عائشة شديدًا.. بكت حتى لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم لكنها صبرت وتجلدت، وكانت تتسلى بصبر الأنبياء وتقول: والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[2].

حتى نزلت براءتها من السماء في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وكذلك ينبغي أن تعتصم المسلمة بالصبر واليقين حين تُتهم في شيء من دينها أو عرضها – وهي منه براء- .

وحين نتجاوز محنة عائشة رضي الله عنها، فثمة محنة أخرى أصابت (درة بنت أبي لهب) رضي الله عنها من بنات جنسها، حتى غضب لها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وانتصر لها على الملأ، عن ابن عمر وأبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم قَالُوا: قَدِمَتْ دُرَّةُ بنتُ أَبِي لَهَبٍ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً، فَنَزَلَتْ دَارَ رَافِعِ بن الْمُعَلَّى الزُّرَقِيِّ، فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ جَالِسِينَ إِلَيْهَا مِنْ بني زُرَيْقٍ: أَنْتِ بنتُ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ" مَا يُغْنِي عَنْكِ مُهاجَرُكِ؟، فَأَتَتْ دُرَّةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا قُلْنَ لَهَا فَسَكَّنَها، وَقَالَ: اجْلِسِي ثُمَّ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَا لِي أُوذِي فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتَنَالُ حَيَّ حَا *، وَحُكْمَ وصَدَاءَ، وسَلْهَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[3] وفي رواية أخرى أن (درة

---

(١) صحيح البخاري: (كتاب المغازي - باب حديث الإفك ح ٤١٤١)

(٢) المصدر السابق (البخاري: ح ٤١٤١)

(٣) رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن ابن بشير الدمشقي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد: ٩ / ٢٥٧- ٢٥٨)

* هكذا أضبطت في المجمع، وحين رجعت للمعجم الكبير للدار قطني وجدتها كذلك، وفيه(حا وحكم قبيلتان) انظر: المعجم الكبير ٢٤ /٤٣٤ ط إ حياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف بالعراق

) أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي أَبَوَيْهَا فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَلَدَ الْكُفَّارُ غَيْرِي؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ. صلى الله عليه وسلم .: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: قَدْ آذَانِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي أَبَوَيَّ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم .: إِذَا صَلَّيْتِ الظُّهْرَ فَصَلِّي حَيْثُ أَرَى، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَكُمْ نَسَبٌ وَلَيْسَ لِي نَسَبٌ؟ فَوَثَبَ عُمَرُ، فَقَالَ: غَضِبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ أَغْضَبَكَ، فَقَالَ: هَذِهِ بِنْتُ عَمِّي فَلا يَقُلْ لَهَا أَحَدٌ إِلا خَيْرًا.[1]

هذه المواقف ومثيلاتها تُنبه على أن المرأة قد تتعرض في حياتها من بلاء الناس وفتنتهم وآذاهم وينبغي أن يكون الصبر زادها، والثبات على الحق منهجها، ولا ضير أن تبدي شكواها لمن تثق به، وأن تطلب النصرة ممن تتوقع قدرته على نصرتها، والمحذور أن تقع ضحية لهذه الاستفزازات، وأن تستسلم لهذه الإشاعات، فتجعل فتنة الناس كعذاب الله؟

---

(١) رواه الطبراني، وابن أبي حسين هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩ / ٢٥٨)

المبحث الثاني:
من أساليب المرأة في الدعوة

يستفاد من العرض السابق لميادين دعوة المرأة، أنها مارست أكثر من أسلوب في الدعوة وتحدثت إلى أكثر من طيف من أطياف المجتمع، وحتى تكتمل الصورة نقف على أساليب وألوان وممارسات في وسائل الدعوة قامت بها المرأة في زمن النبوة، وخليق بالمرأة المعاصرة أن تستفيد منها، وتجدد ما تدعوا الحاجة، ويفرضه الزمان والمكان عليها – دون تعدٍ أو مجاوزة للمشروع –.

ومن هذه الأساليب الدعوية في زمن النبوة:

المطلب الأول: الثبات على الحق في زمن الشدائد:

في حال الرخاء يكثر الدعاة ويشيع الاستمساك بالحق، ولكن الثابتين في الشدائد هم الذين يستحقون الإشادة ويؤثرون أكثر في الناس، والأفعال تسبق الأقوال أحيانًا في التأثير، وقد تمارس المرأة الدعوة بسلوكياتها مثل أو أكثر من ممارستها الدعوة بأقوالها، ذلك أن الناس – في القديم والحديث – تعجبهم القدوات، ويلفت نظرهم الثبات على المبدأ، ويؤثر فيهم الإصرار على المعتقد الصحيح رغم البلايا والمحن.

ودونكم هذا النموذج الذي ذكرته كتب الطبقات والتراجم، وذكرت معه آثاره الجميلة فأم شريك (التي سبق الحديث عن دعوتها السرية بين نساء أهل مكة) أضطر أهل مكة إلى ترحيلها من مكة حتى لا تفسد عليهم نساءهم – كما زعموا – .

تقول أم شريك: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني ولا يسقوني، قالت: فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعه.. فنزلوا منزلاً وكانوا إذا نزلوا أوثقوني في الشمس واستظلوا، وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا فبينما أنا كذلك إذا أنا بأثر شيء عليَّ برد منه، ثم رفع، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء فشربت منه قليلاً، ثم نُزع مني، ثم عاد فتناولته فشربت منه قليلاً ثم رُفع ثم عاد أيضًا ثم رُفع، فصنع ذلك مرارًا حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا فإذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي:

انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ فقلت: لا والله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا لئن كنت صادقة فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، وأسلموا بعد ذلك[1].

ولا يُنسى في مقام ثبات المرأة على دينها في أزمان الشدائد والمحن مواقف عدد من النساء قديمات الإسلام من أمثال (سمية بنت خياط) أم (عمار بن ياسر) فقد كانت ضمن السبعة الذين أظهروا الإسلام كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد)[2].

وعن تعذيبها وثباتها قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وبأمه، وكانوا أهل بيت إسلام – إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم الرسول . صلى الله عليه وسلم . فيقول: صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة، فأما أمه سمية فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام[3].

يكفي المرأة ثباتًا أن تموت وهي تُعذب في ذات الله، ومهما كانت شدة المعذبين فهي رسالة تحفر في قلوبهم، على أن الأمر تجاوز (سمية) إلى مجموعة من النساء تفضَّل أبو بكر رضي الله عنه فأنقذهن من العذاب بالعتق، ومن هؤلاء زنيرة جارية بني المؤمل الهندية وابنتها، وأم عبيس[4] (وأم عبيس) قيل عنها: أسلمت أول الإسلام، وكان ممن

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٢٣٥، ٢٣٦ وقال معلقًا على إسنادها: مرسل وفيه الواقدي. ثم ساق قصة أخرى لها مثيلة مع يهودي.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ١ / ٥٣

(٣) ابن هشام في السيرة ١ / ٣٩٥، ورواه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣٨٣ وبلفظ (أبشروا) ٣ / ٣٨٨، وقال: صحيح على شرط مسلم، وهو في صحيح سنن ابن ماجة ١ / ٣٠، ورواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٣

(٤) انظر: ابن هشام: السيرة ١ / ٣٩٣

استضعفها المشركون يعذبونها فاشتراها أبو بكر فأعتقها[1] وبالجملة فلا يعرف عن المرأة ردة بعد إيمان، وفي البخاري قال الزهري: وما نعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها[2].

وهل يستغرب أن يكون ثبات المرأة على الأذى سببًا في إسلام المعذبين؟ وقد سبق شيء من ذلك في قصة فاطمة مع أخيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(١) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٢٥١

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد – ح ٢٧٣٣ ، وانظر تعليق ابن حجر على ردة أم الحكم بنت أبي سفيان (الفتح ٥ / ٣٥٢) وقال ابن عبد البر: أن أم الحكم من مسلمة الفتح، وحين نزل (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) طلقها زوجها عياض بن غنم (الاستيعاب ١٣ / ٢٠٨ هامش الإصابة)

المطلب الثاني: البلاغ المذكّر:

{إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} هذه وظيفة الرسل وهي وظيفة أتباعهم إلى يوم الدين، والمرأة في زمن النبوة كانت واسطة بلاغ بين النبي . صلى الله عليه وسلم . وأخواتها من النساء.. تبلغه بحوائجهن، وتنقل منه إليهن أحكام الإسلام وشرائعه، وهذه (أسماء بنت يزيد بن السكن) كان يقال لها (خطيبة النساء)[1].

أتت (أسماء) النبي . صلى الله عليه وسلم . فقالت: إني رسول من ورائي إليك من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وإن الرجال فضلوا علينا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بوجهه إلى أصحابه فقال: " هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ". فقالوا: بلى والله يا رسول الله، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .: " انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال ". فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارًا بما قال لها رسول الله . صلى الله عليه وسلم .[2].

أليست مهمتها تلك في البلاغ والتذكير، وتوسطها في الحديث بين رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ونساء المؤمنين وسيلة مهمة في الدعوة، وكم اختصرت هذه المرأة على عدد من النساء المجيء لرسول الله . صلى الله عليه وسلم . وبيان هذا الأمر للنساء؟

---

(١) ابن حجر: الإصابة ٧ / ٤٩٨ تحقيق (البجاوي)

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ٤ / ١٧٨٧، ١٧٧٨

إن المرأة قد ينقصها العلم الذي تدعوا به.. وقد تغيب عنها آلية مؤثرة من آليات الدعوة، لكن لن يعجزها أن تنقل كلام أهل العلم، وتجربة أهل الدعوة فتذكر بهما من نسي أو جهل – ورب مبلغ أوعى من سامع -

وفرق بين أن تنشغل المرأة بهذا الخير، وبين أن تشغل نفسها بكلام لا ينفع بل قد يضر؟ ونموذج آخر في البلاغ، وتعليم أحكام الإسلام لمن جهلها في قصة لا تخلوا من طرفه، فهذه (أم رافع) سلمى خادم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وزوجة خادمه (أبي رافع) جاءت يومًا تشكوا أبا رافع وقد ضربها، فقال لأبي رافع: ما لك ولها؟ قال: تؤذيني يا رسول الله، قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: بما آذيته يا سلمى؟ قالت: يا رسول الله ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي، فقلت يا أبا رافع: إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام يضربني فجعل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يضحك ويقول: يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلا بخير[1].

وأم رافع هذه كما بلغت زوجها حكم الإسلام في الطهارة، فقد بشرت زينب بنت جحش رضي الله عنهما أن الله زوجها رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، فقد قال عليه الصلاة والسلام: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله زوجنيها، فخرجت سلمى تشتد فحدثتها بذلك فأعطتها أرضًا[2].

وصميته (امرأة من بني ليث بن بكر) بلغت عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قوله (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بالمدينة كنت له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة)[3].

---

(١) رواه أحمد ، والبزار، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح، إلا أن فيه ابن إسحاق وقد قال حدثني (مجمع الزوائد: ١ / ٢٤٣)

(٢) ابن حجر: الإصابة ٢ /٣١٤ وهو في المسند – كما قال ابن حجر -

(٣) ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني ٦ / ١٧، ٣٢، ١٥٤، والنسائي في السنن الكبرى: ٢ / ٤٨٨ ح ٤٢٨٥، وابن حبان في صحيحه: الإحسان ١٦ / ٢١ ح ٣٧٣٢، وهو حديث صحيح انظر: د – صالح حامد الرفاعي: الأحاديث الصحيحة في فضائل المدينة - ط الأولى ١٤٢٧هـ -

المطلب الثالث: النفقة في سبيل الدعوة:

يستطيع المرء أن يدعوا بماله كما يستطيع أن يدعوا بلسانه، وكما الجهاد بالنفس فالجهاد بالمال مقدم عليه في القرآن، ومن جهز غازيًا فقد غزى، وكذلك تتوارد نصوص الشرع على تعظيم النفقة في سبيل الله – وليس هذا مجال الحديث عنها – ويكفي أن نورد هنا نماذج من نفقة المرأة المسلمة كوسيلة من وسائل الدعوة إلى دين الله، وحيث سبق موقف أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – حين شقت نطاقها – ولم يكن معها غيره – لتجهيز رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأبيها في – حدث الهجرة – فإن أسماء هي التي هان عليها (المال) الذي كان والدها (أبو بكر) يملكه، ثم أنفقه في سبيل الله، فإذا هاجر لم يترك لهم شيئًا في المدينة، الأمر الذي أحوج الشيخ الكبير (أبو قحافة) أن يسأل عن مال أبي بكر، ولندع أسماء تحدثنا بنفسها عن القصة وفقهها حيث تقول: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلّهُ وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتّةُ آلَافٍ فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ. قَالَتْ فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَقَالَ وَاَللّهِ إنّي لَا أَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قَالَتْ قُلْت: كَلّا يَا أَبَتِ إنّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا. قَالَتْ فَأَخَذْت أَحْجَارًا فَوَضَعْتهَا فِي كُوّةٍ فِي الْبَيْتِ الّذِي كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمّ وَضَعْت عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمّ أَخَذْت بِيَدِهِ فَقُلْت: يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَك عَلَى هَذَا الْمَالِ. قَالَتْ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا بَأْسَ إذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ. وَلَا وَاَللّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا وَلَكِنّي أَرَدْت أَنْ أُسَكّنَ الشّيْخَ بِذَلِكَ[1].

---

(١) ابن هشام: السيرة ٢ / ١٥٢، وسنده متصل، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، ورواه الحاكم في المستدرك ٣: / ٥، ٦ وقال: صحيح على شرط مسلم ورواه أحمد، قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق فقد صرح بالتحديث (مجمع الزوائد: ٦ / ٥٩)

وحين وعظ رسول الله . صلى الله عليه وسلم . النساء وحثهن على النفقة – في صلاة العيد – استجابت المرأة وجعلت النساء يتصدقن من حليهن، ويلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن[1].

وحين تُذكر نفقات النساء وصدقاتهن فلا بد أن تذكر خديجة رضي الله عنها (وقد سبق البيان) و (زينب بن حجش) رضي الله عنها صاحبة اليد الطولى في الصدقة، وهي التي قال عنها النبي . صلى الله عليه وسلم . (أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا)[2] قالت عائشة رضي الله عنها: وكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي . صلى الله عليه وسلم . نمد أيدينا في الجدار نتطاول، وكانت (زينب) امرأة قصيرة، فلما توفيت عرفنا حينئذ أنه إنما أراد بطول اليد الصدقة[3]، قالت وكانت زينب امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله، وقد قيل عنها: إنها لم تترك درهمًا ولا دينارًا، كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، وكانت مأوى المساكين.[4]

ولم يتوقف إنفاق المرأة – في سبيل الله – في حال السلم، بل وأنفقت – في سبيل الله ونشر دينه – في حال الحرب، وكان لها يوم العسرة سهم من الإنفاق، فعن أم سنان الأسلمية رضي الله عنها قالت: لقد رأيت ثوبًا مبسوطًا بين يدي النبي . صلى الله عليه وسلم . في بيت عائشة فيه مسك ومعاضد وخلاخل، وأقرطة، وخواتيم، وقد مُلِيء مما بعث من النساء يُعن به المسلمين في جهازهم والناس في عسرة شديدة[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢ / ٦٠٣، ٦٠٤ ح ٨٨٥، والبخاري في التفسير: (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك - ح ٤٨٩٥

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها (٤ / ١٩٠٧ - ح ٢٤٥٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات: (٨ / ١٠٨ – ١١٤)

(٤) المصدر السابق: ٨ / ١٠٨، ١١٤

(٥) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١ / ٤١٥ تحقيق صلاح الدين المنجد (نقلاً عن أحمد يعقوب العطاوي: المرأة الداعية في العهد النبوي الشريف ص ١٢٣مكتبة الرشد / الرياض ١٤٢٠ هـ)

تعدد وتنوع صدقات المرأة:

ويلفت نظر المتأمل في نصوص السنة والسيرة في صدقة المرأة أن صدقتها تتجاوز الدرهم والدينار إلى حسن الملاطفة ومداراة أقرب الناس إليها وتقديم الخدمة له، إذ ليست الصدقة في حس المرأة - في زمن النبوة - قصرًا على الأمور المادية بل وعلى الأمور المعنوية.

وأمامنا نص في صحيح مسلم يجمع هذين اللونين من الصدقة، في قصة أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ قَالَتْ فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ وَأَسُوسُهُ وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ وَأَعْلِفُهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ وَكَانَ يَخْبِزُ لِي جَارَاتٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ قَالَتْ وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ. صلى الله عليه وسلم. عَلَى رَأْسِي وَهِيَ عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ.. الخ القصة[1].

قال النووي معلقًا على خدمات أسماء هذه: هَذَا كُلّه مِنْ الْمَعْرُوف والمروآت الَّتِي أَطْبَقَ النَّاس عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنَّ الْمَرْأَة تَخْدُم زَوْجهَا بِهَذِهِ الْأُمُور الْمَذْكُورَة وَنَحْوهَا مِنْ الْخَبْز وَالطَّبْخ وَغَسْل الثِّيَاب وَغَيْر ذَلِكَ، وَكُلّه تَبَرُّع مِنْ الْمَرْأَة وَإِحْسَان مِنْهَا إِلَى زَوْجهَا وَحُسْن مُعَاشَرَة وَفِعْل مَعْرُوف مَعَهُ، وَلَا يَجِب عَلَيْهَا شَيْء مِنْ ذَلِكَ، بَلْ لَوْ اِمْتَنَعَتْ مِنْ جَمِيع هَذَا لَمْ تَأْثَم، وَيَلْزَمهُ هُوَ تَحْصِيل هَذِهِ الْأُمُور لَهَا، وَلَا يَحِلّ لَهُ إِلْزَامهَا بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا تَفْعَلهُ الْمَرْأَة تَبَرُّعًا، وَهِيَ عَادَة جَمِيلَة اِسْتَمَرَّ عَلَيْهَا النِّسَاء مِنْ الزَّمَن الْأَوَّل إِلَى الْآن، وَإِنَّمَا الْوَاجِب عَلَى الْمَرْأَة شَيْئَانِ: تَمْكِينهَا زَوْجهَا مِنْ نَفْسهَا، وَمُلَازَمَة بَيْته[2].

فهذا نموذج لصدقة أسماء على زوجها بخدمته وحسن معاشرته، ويتكرر النموذج مرة أخرى - وبلون آخر - في قصة أسماء مع الرجل الذي جاء يستأذنها في البيع في ظل

(١) مسلم بشرح النووي ١٤ / ١٦٤، ١٦٥

(٢) المصدر السابق: ١٤ / ١٦٤، ١٦٥.

دارها، فقالت له: إنِّي إنْ رَخَّصْتُ لَكَ أَبَى ذَلكَ الزُّبَيْرُ فَتَعَالَ فَاطْلُبْ إِلَيَّ وَالزُّبَيْرُ شَاهِدٌ فَجَاءَ فَقَالَ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَ فِي ظِلِّ دَارِكِ فَقَالَتْ مَا لَكَ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا دَارِي؟ فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ مَا لَكِ أَنْ تَمْنَعِي رَجُلاً فَقِيرًا يَبِيعُ؟ فَكَانَ يَبِيعُ إِلَى أَنْ كَسَبَ فَبَعَثَتْهُ الْجَارِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ وَثَمَنُهَا فِي حَجْرِي فَقَالَ هَبِيهَا لِي قَالَتْ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا[1].

وهكذا تتعدد وتتنوع صدقات المرأة – بوعي وأدب وحسن عشرة – فتقديرها لمشاعر زوجها صدقة، وطلب الإذن من الزوج وتحقيق ما يرضيه والبعد عما ينكره صدقة، ومداراة خلقه وحسن عشرته صدقة.

ولهذا علق النووي على هذه القصة بقوله: هَذَا فِيهِ حُسْنُ الْمُلاطَفَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ، وَمُدَارَاةِ أَخْلاقِ النَّاسِ فِي تَتْمِيمِ ذَلِكَ[2].

هذا كله مع الزوج وهو أحق من تصدق عليه، وأولى من فُعل المعروف له، ولكن أسماء تتجاوز ذلك – كذلك – إلى الصدقة على هذا الرجل الفقير حين أُذن له في البيع في ظل دارها، وكسب حتى اشترى جاريتها.

وتضيف أسماء الصدقة بمالها حين اعتذرت للزبير بأنها تصدقت بثمن الجارية.. إنها صدقات متتالية.. ومبادرات تصنعها المرأة.. ووعي بفعل المعروف.. وحسن أداء وتلطف.. ومداراة.. كلها تحسب للمرأة في زمن النبوة، وتذكر لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها وزوجها.

وكذلك ينبغي أن تعي المرأة دورها في الصدقة، وتُثَمن أنواع الصدقات كلها فتجعل لها في كل ميدان صدقة، لا سيما ودينها يقول لها: الكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة.. الخ.

---

(١) المصدر السابق: ١٤ / ١٦٦، ١٦٧.

(٢) المصدر السابق: ١٤ / ١٦٧.

المطلب الرابع: البيعة على الإسلام وقول الحق أينما كن:

يلفت نظر القارئ في تراجم الصحابيات كثرة القول (أسلمت وبايعت) والبيعة ميثاق غليظ وتحمل في سبيل الإسلام والدعوة إليه.. كانت المرأة تبايعه – صلى الله عليه وسلم – على الإسلام والدخول في السلم كافة :﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة ١٢].

وهذا كثير، وفي صحيح البخاري باب (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) ثم ساق الحديث عن أم عطية رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقرأ علينا (أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها النبي . صلى الله عليه وسلم . شيئًا فانطلقت فرجعت فبايعها)[1].

وقال مصعب بن نوح: أدركت عجوزًا لنا كانت فيمن بايع رسول الله . صلى الله عليه وسلم... رواه أحمد والطبري[2] وفي صحيح البخاري باب (بيعة النساء)[3].

ومن المعلوم أن ثمة بيعة في السيرة تسمى (بيعة النساء) ألا وهي (العقبة الأولى)[4] لأن الشروط التي أخذ على المبايعين وفق بيعة النساء التي نزلت الآيات بعد ذلك عند فتح مكة مبينة لها، كما قال ابن حجر[5].

---

(١) صحيح البخاري: (كتاب التفسير – ح ٤٨٩٢)

(٢) المسند (٨٨/٢٧)، والطبري: (٣٤٣/٢٣).

(٣) البخاري: كتاب الأحكام ٨ / ١٢٥

(٤) البخاري: كتاب الإيمان، والمناقب، والتفسير، والأحكام، انظر للمزيد: السيرة النبوية في الصحيحين د – سليمان العودة ص ٣١٥

(٥) الفتح ٧ / ٢٢٢

ولئن لم تشهد المرأة بيعة العقبة الأولى، فقد شهدت البيعة الثانية في العقبة، وكانت بيعة تختلف عن سابقتها، إذ كانت على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره.. وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم[1].

وقد شهدها امرأتان من الأنصار هما: نسيبة بنت كعب (أم عمارة) وأسماء بنت عمرو (أم منيع).[2]

فإذا جاء في بنودها: وعلى أن نقول بالحق أينما كن – كان ذلك أسلوبًا من أساليب دعوة المرأة - وقد صدقت فقالت الحق وبلغته للآخرين (كما سبق).

(١) البخاري ٨ / ١٢٢ كتاب الأحكام، ومسلم ٣ / ١٤٧٠ كتاب الإمارة

(٢) السيرة لابن هشام: (٢ / ٤٧ – ٥٧)

المطلب الخامس: الهجرة في سبيل الله:

احتاج الإسلام من المرأة أن تهاجر في سبيل الله، فكانت في طلائع المهاجرين للحبشة – وقد سبق – واحتاج المسلمون إلى الهجرة للمدينة لإقامة دولة الإسلام فكان للمرأة جهاد في الهجرة – وقد سبق أيضا – .

أليست الهجرة جهادًا وامتحانًا والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[الممتحنة ١٠].

لماذا كانت هجرة المرأة، وبماذا تُمتحن؟

سئل ابن عباس رضي الله عنهما كيف كان امتحان رسول لله . صلى الله عليه وسلم . للنساء؟ قال: كان يمتحنهن " ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حبًا لله ولرسوله "[(١)].

وعن قتادة: وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله، وحرص عليه.[(٢)]

وعن عروة: فلما هاجر النساء إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وإلى الإسلام أبى الله أن يُرددن إلى المشركين إذا هن أمتحن محنة الإسلام[(٣)].

وحيث كانت الهجرة للمدينة تسللاً من المشركين، وكانت مغرمًا – في ظاهرها – أكثر منها مغنمًا فهي تُسجل في جهاد المرأة ودعوتها في سبيل نصرة الإسلام.

وإذا ذكر ابن إسحاق – رحمه الله – عددًا من أسماء المهاجرات[(٤)] فدعونا نتوقف عند شيء من المصاعب التي واجهت المهاجرات في سبيل الهجرة، فزينب بنت رسول الله .

---

(١) تفسير الطبري: ٢٨ / ٦٧

(٢) تفسير الطبري: ٢٨ / ٦٨

(٣) تفسير الطبري: ٢٨ / ٦٩

(٤) انظر: ابن هشام – السيرة: ٢ / ٣٦٠

صلى الله عليه وسلم. وإن تأخرت هجرتها إلى ما بعد بدر – فقد كانت هجرتها تُحف بالمخاطر والمخاوف – وفي حوار جرى بينها وبين امرأة أخرى ما يكشف ذلك.

روى ابن إسحاق بسنده إلى زينب: قَالَتْ بَيْنَا أَنَا أَتَجَهَّزُ بِمَكَّةَ لِلّحُوقِ بِأَبِي لَقِيَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، فَقَالَتْ يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكِ تُرِيدِينَ اللّحُوقَ بِأَبِيكِ؟ قَالَتْ فَقُلْت: مَا أَرَدْت ذَلِكَ فَقَالَتْ أَيْ ابْنَةَ عَمِّي، لَا تَفْعَلِي، إنْ كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ بِمَتَاعٍ مِمّا يَرْفُقُ بِكِ فِي سَفَرِك، أَوْ بِمَالٍ تَتَبَلّغِينَ بِهِ إلَى أَبِيكِ، فَإِنّ عِنْدِي حَاجَتَكِ، فَلَا تَضْطَنِي مِنّي (أي لا تختفي ولا تستحي) فَإِنّهُ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ النّسَاءِ مَا بَيْنَ الرّجَالِ. قَالَتْ وَاَللّهِ مَا أَرَاهَا قَالَتْ ذَلِكَ إلّا لِتَفْعَلَ قَالَتْ وَلَكِنّي خِفْتُهَا، فَأَنْكَرْتُ أَنْ أَكُونَ أُرِيدُ ذَلِكَ وَتَجَهّزْت.[1]

وهل تنتهي المعاناة عند هذا الحد؟ كلا ولنسمع إلى بقية الرواية حيث قال ابن اسحق: فَلَمّا فَرَغَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ جَهَازِهَا قَدّمَ لَهَا حَمُوهَا كِنَانَةُ بْنُ الرّبِيعِ أَخُو زَوْجِهَا بَعِيرًا، فَرَكِبَتْهُ وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ ثُمّ خَرَجَ بِهَا نَهَارًا يَقُودُ بِهَا، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا. وَتَحَدّثَ بِذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوًى، فَكَانَ أَوّلَ مَنْ سَبَقَ إلَيْهَا هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى، الْفِهْرِيّ، فَرَوّعَهَا هَبّارٌ بِالرّمْحِ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا، وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ حَامِلاً - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَلَمّا رِيعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا وَبَرَكَ حَمُوهَا كِنَانَةُ وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ لَا يَدْنُو مِنّي رَجُلٌ إلّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا فَتَكَرْكَرَ النّاسُ عَنْهُ. وَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ فِي جُلّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ أَيّهَا الرّجُلُ كُفّ عَنّا نَبْلَك حَتّى نُكَلّمَك، فَكَفّ فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ إنّك لَمْ تُصِبْ خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُءُوسِ النّاسِ عَلَانِيَةً وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمّدٍ فَيَظُنّ النّاسُ إذَا خَرَجْتَ بِابْنَتِهِ إلَيْهِ عَلَانِيَةً عَلَى رُءُوسِ النّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، أَنّ ذَلِكَ عَنْ ذُلّ أَصَابَنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا الّتِي

---

(١) ابن هشام: السيرة ٢ / ٣٦٠، ٣٦١ – وفي سند الرواية انقطاع كما قال الهيثمي ي مجمع الزوائد ٩ / ٢١٤ – ٢١٦

كَانَتْ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ وَلَعَمْرِي مَا لَنَا بِحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا مِنْ حَاجَةٍ وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثَوْرَةٍ وَلَكِنْ ارْجِعْ بِالْمَرْأَةِ حَتَّى إِذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ قَدْ رَدَدْنَاهَا، فَسُلَّهَا سِرًّا، وَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا: قَالَ فَفَعَلَ. فَأَقَامَتْ لَيَالِيَ حَتَّى إِذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلاً حَتَّى أَسْلَمَهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم[1]

أرأيتم كيف تعرضت المهاجرة للخوف أولاً، ثم للترويع ثانيًا.. هذا وهي بنت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وزمن هجرتها بعد عز المسلمين ببدر..

إنها معاناة، وجهاد، وصبر، تحتسب في سبيل صدق المرأة وجهادها ودعوتها، ومع المجاهدة والصبر فثمة ما يدفع المرأة للهجرة، ألا وهو خشية الفتنة في الدين.

ولقد تجلدت المرأة – في زمن النبوة – للهجرة، وخرجت مراغمة لأبويها وأخوتها، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط نموذج لهذا، وعنها قال ابن سعد: هي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى المدينة، ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم[2] وأخرج البخاري قصتها في الهجرة – وهي عاتق (شابة) وخروج أهلها في طلبها[3] ولم تمر هجرتها بسلام – مما يكشف عن صبر المرأة وجهادها – فقد خرج في إثرها أخواها: الوليد، وعمارة أبناء عقبة، يطالبان ردها إلى مكة فجاءت إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تشكو أمرها وتتخوف الفتنة في دينها، وتقول للنبي . صلى الله عليه وسلم .: يا رسول الله أنا امرأة

---

(١) السيرة لابن هشام: ٢ / ٣٦١، ٣٦٢،

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ٢٣٠

(٣) صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام - ح ٢٧١١، ٢٧١٢

وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت، فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي؟ حتى نزل حكم الله، وأنزل فيهن المحنة ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾[1].

إنه ضرب من ضروب الجهاد والدعوة، ومعه وعي المرأة وتحسبها، وخوفها من الفتنة في الدين وإذا كانت (أم كلثوم) حين هاجرت لم تكن ذات زوج بمكة، وأمها (أروى بنت كريز) إنما أسلمت بعد ابنتها أم كلثوم – كما ذكر ابن سعد[2] - ووالدها(عقبة) كان أحد قتلى بدر صبرا.

وأخواها (الوليد وعمارة) قدما المدينة على إثرها لإرجاعها.. عُلم من ذلك قدر جهاد المرأة وعزتها بالإسلام، رغم كل الظروف المحيطة بها، وكذلك يصنع الإيمان، وكذلك تكون عزائم المؤمنات، وبه نفهم قصد ابن سعد (ولم نعلم قرشية خرجت من أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم).

إنها بهذه العزيمة والثبات تعطي المرأة المسلمة المعاصرة دروسًا تذكرها بقدرات المرأة أولاً وتبصرها بلون من ألوان المحن عرضت للمرأة وتجاوزتها بنجاح ثانيًا، وتضرب أنموذجًا للفتيات بتحدي الباطل والانحياز للإسلام وأهله مهما كانت الظروف والمعوقات.

---

(١) الطبقات ٨ / ٢٣٠

(٢) الطبقات ٨ / ٢٢٩

المطلب السادس: احتساب المرأة (أو المرأة والحسبة):

جاءت نصوص الوحيين مؤكدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للرجال والنساء ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة ٧١]

يقول النحاس: وفي ذكره تعالى (وَالْمُؤْمِنَاتُ) هنا دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على النساء كوجوبه على الرجال حيث وجدت الاستطاعة[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب ٣٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٢]

وفي الحديث (والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم...)[٣]

وعلى صعيد الواقع مارست المرأة في زمن النبوة الحسبة والدعوة للخير، مارسته على زوجها – كما سبق – في قصة أم رافع على أبي رافع – وعلى زوج ابنتها – كما في قصة (الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية) حيث قالت: دخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة فوجدته في البيت، فجعلت أقول: قد حضرت الصلاة وأنت في البيت؟ وجعلت ألومه، فقال: يا خالتي لا تلوميني، فإنه كان لنا ثوب، فاستعاره رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقلت: بأبي وأمي إن كنت ألومه وهذه حاله ولا أشعر..[٤]

كما احتسبت المرأة على ابن أختها، فقد روى يزيد بن الأصم – ابن أخت ميمونة – رضي الله عنها – قال: تلقيت عائشة رضي الله عنها وهي مقبلة من مكة، أنا وابن لطلحة بن عبيد الله – وهو ابن أختها – وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص ٢٠، نقلاً عن د – فضل إلهي: مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٢

(٢) تفسير القرطبي: أحكام القرآن ١٤ / ١٧٨

(٣) متفق عليه: البخاري ح ٧١٣٧، ومسلم ح ١٨٢٩

(٤) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٦، وقال ابن حجر: في سنده عبد الوهاب بن الضحاك وهو واهٍ

منه، فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومها وتعذله، وأقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة ثم قالت: أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في أهل بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة ورُمي برسنك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله عز وجل، وأوصلنا للرحم.[1]

واحتسبت المرأة على المرأة في لباسها أو في حشمتها وحيائها، فقد روى الإمام أحمد عن أم عبد الرحمن أذينة قالت: كنا نطوف بالبيت مع أم المؤمنين (عائشة رضي الله عنها) فرأت على امرأة بُردًا فيه تصليب[2] فقالت عائشة: اطرحيه اطرحيه، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا رأى نحو هذا قضبه[3][4].

وروى الحاكم عن سبيعة الأسلمية رضي الله عنها أن نسوة من أهل الشام دخلن على عائشة فقالت: ممن أنتن؟ فقلن: من أهل حمص، فقالت: صواحب الحمامات؟ فقلن: نعم فقالت عائشة: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول (الحمَّام حرام على نساء أمتي، فقالت امرأة منهن: فَلِي بنات أمشطهن بهذا الشراب، قالت: بأي الشراب؟ فقالت: الخمر، فقالت عائشة رضي الله عنها: أفكنتِ طيبة النفس أن تمتشطي بدم خنزير، قالت: لا، قالت: فإنه مثله[5].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٢، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص

(٢) فيه تصليب: أي نقش مثل الصلبان

(٣) قضبه: أي قطعه

(٤) المسند: ٦ / ١٤٠ وقال البنا: سنده جيد (بلوغ الأماني: ١٧ / ٢٨٥) وانظر: مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فضل إلهي / ٥٣

(٥) المستدرك: ٤ / ٢٨٩، ٢٩٠ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها لنساء دخلن عليها: لعلكن من الكورة التي تدخل نسائها الحمام؟ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت سترها فيما بينها وبين الله عز وجل[1].

وردت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على ابنها (المنذر) كسوته التي قدم بها من العراق فشق ذلك على (المنذر) وقال: يا أمه إنه لا يشف، قالت: إنها إن لم تشف فإنها تصف، ثم اشترى لها ثيابًا مرويّة، وقوهية[2]، فقبلتها وقالت: مثل هذا فاكسني[3].

واحتسبت المرأة على الولاة والأمراء تذكرهم بمسؤولية الرعية وتخوفهم يوم الحساب، فقد ذكر ابن عبد البر أن عمر رضي الله عنه خرج يومًا من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر، فردت عليه السلام وقالت: هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى (عميرًا) في سوق عكاظ، ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت (عمر) ثم لم تذهب الأيام حتى سميت (أمير المؤمنين) فاتقي الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي عليه الفوت، فقال الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر والله أحق أن يسمع لها.

قال ابن عبد البر: هكذا في هذا الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة.. وهو وهم، وخليد ضعيف سيء الحفظ، وإنما امرأة أوس بن الصامت..[4].

---

(١) رواه الحاكم عن الثوري وقال: ورواه شعبة عن منصور ٤ / ٢٨٨ ، ورمز له الذهبي (خ م) وذكر ابن حجر الحديث في ترجمة أم الدرداء (خيرة) وقال سنده ضعيف جدًا (الإصابة ١٢ / ٢٤٢)

(٢) المروية نسبة إلى مرو ، والقُوهِيَّة: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَاب بيضٌ، فَارِسِيٌّ. الأَزهري: الثِّياب القُوهِيَّةُ مَعْرُوفَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قُوهِسْتَانَ انظر: لسان العرب: (٥٣٢/١٣) (فصل القاف)، تهذيب اللغة: (١٨٢/٦) (باب الهاء والقاف).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٢٥٢

(٤) الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٢ / ٣٠١ – ٣٠٢)

كما روى ابن عبد البر عن عبد الخالق بن زيد بن واقد، قال حدثني أبي أن عبد الملك بن مروان حدثه قال: كنت أجالس بريرة (مولاة عائشة) رضي الله عنها بالمدينة، قبل أن ألي هذا الأمر، فكانت تقول لي: يا عبد الملك إني أرى فيك خصالاً وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليت هذا الأمر فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول: إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق، قال أبو عمر: زيد بن واقد هذا ثقة من ثقات الشاميين، لقي واثلة بن الأسقع[1].

بل وصل احتساب المرأة – في زمن النبوة – إلى العلماء حين يقع لهم شيء من السهو أو الخطأ فقد ذُكر لعائشة رضي الله عنها كما روى مسلم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: إن الميت ليُعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . على يهودية يُبكى عليها، فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها[2].

ونقل رجال من المؤمنين لعائشة رضي الله عنها قول أبي الدرداء رضي الله عنه (لا وتر لمن أدرك الصبح) وكان يخطب الناس بهذا، فقالت: كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يُصبح فيوتر[3].

وأنكرت أم سلمة رضي الله عنها على سمرة بن جندب رضي الله عنه القول بقضاء الحائض للصلاة، وقالت: لا يقضين، كانت المرأة من نساء النبي . صلى الله عليه وسلم . تقعد في النفاس أربعين ليلة لا يأمرها النبي . صلى الله عليه وسلم . بقضاء صلاة النفاس[4].

---

(١) الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦)

(٢) صحيح مسلم: ٢ / ٦٤٣ ح ٩٣٢

(٣) رواه أحمد: المسند ٦ / ٢٤٢، ٢٤٣ وحسن إسناده الهيثمي في المجمع: ٢ / ٢٤٦

(٤) سنن أبي داود، وسكت عنه المنذري كما في مختصر السنن ١ / ١٩٦، ١٩٧ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١ / ٦٣ وانظر المستدرك للحاكم ١ / ١٧٥ وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص

كما أنكرت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما على أبي هريرة رضي الله عنه القول بأن (من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم) وحين بُلِّغ أبو هريرة بهذا الإنكار (المستند إلى السنة) قال أبو هريرة: أهما قالتاه؟ قيل: نعم، قال: هما أعلم، ورجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك كما أخرجه البخاري ومسلم.[1]

ويطول بنا الحديث لو استقصينا نماذج من احتساب المرأة على العلماء، بل وعلى غيرهم من طبقات المجتمع، وثمة دراسات تتبعت هذا الأمر وفصلت فيه[2].

على أن مما وقع الخلاف والإشكال فيه تعيين المرأة محتسبة في الأسواق، وحين تذكر كتب الطبقات والتراجم نماذج (الشفاء بنت عبد الله أم سليمان بن أبي حثمة (رضي الله عنها) وتولية عمر رضي الله عنه لها.[3]

أو (سمراء بنت نهيك الأسدية) حيث كانت تمر في الأسواق تأمر وتنهى وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها[4].

ويعترض البعض على تولية المرأة في الحسبة ويضعفون الأخبار الواردة في ذلك[5] ويوازن البعض بين أدلة المانعين والمجيزين لاحتساب المرأة في السوق[6].

---

(١) صحيح البخاري: ٢ / ٢٣٢ – كتاب الصوم – وفيه أن مروان (أمير المدينة) أمر أن يقرع بها أبو هريرة، فاعتذر أبو هريرة أنه سمعه من الفضل بن عباس ومسلم: ٢ / ٧٧٩، ٧٨٠ - واللفظ له.

(٢) انظر: د فضل إلهي – مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) قال ابن عبد البر: وكان عمر رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها، وربما ولاها شيئًا من أمر السوق (الاستيعاب بهامش الإصابة ١٣ / ٥٧، ٥٨ – وعنه نقل ابن حجر في الإصابة ١٣ / ٥ وترجم لها ابن سعد في الطبقات ٨ / ٢٦٨ ولم يذكر ذلك.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٣ / ٤٥)

(٥) انظر: أبو بكر بن العربي - أحكام القرآن ٣ / ١٤٥٧

(٦) انظر تفصيل ذلك عند د – فضل إلهي: مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١١٨ – ١٤١

المطلب السابع: المرأة والجهاد:

أ – جهاد الكلمة: وهو ضرب من ضروب الجهاد يُضن أنه يسير وهو عزيز إلا من يسره الله عليه ومن بين أساليب المرأة في الدعوة جهاد الكلمة، وسواءً كانت خطيبة – وقد سبق – أو شاعرة تنافح بشعرها عن الإسلام وتدافع عن النبي . صلى الله عليه وسلم . وتتوجع لمصاب المسلمين وهذا كثير وقع لعدد من النساء يتوجعن لقتلاهن في أحد أو غيرها[1].

وفي جهاد الكلمة ذُكر في ترجمة أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها أنها كانت تعضد النبي . صلى الله عليه وسلم . بلسانها، وتحض ابنها (طليبًا) على نصرته والقيام بأمره[2].

كما صدعت المرأة بصدق جهادها في الكلمة عن ظلم الظالمين، فقد كان لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما موقف صدق ومصارحة مع الحجاج حين قتل وصلب ابنها (عبد الله بن الزبير)

وفي صحيح مسلم أن الحجاج أرسل إلى أسماء يطالبها، بل يهددها بالقدوم عليه ويقول: لتأتيني أو لأبعثن إليها من يسحبها بقرونها، فأبت أن تستجيب لطلبه حتى قدم عليها، فلما دخل قال: كيف رأيتيني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول: يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الأخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا

---

(١)انظر ابن هشام ٣ / ٢٣٨ في شعر صفية بنت عبد المطلب، ٢٣٩ في شعر نُعم امرأة شماس بن عثمان وغيرهن

(٢)ابن حجر: الإصابة ١٢ / ١٠٩

أخالك إلا إياه، فقام عنها ولم يراجعها[1] وهذا الموقف من أسماء مع الحجاج ربما قصر عنه بعض الرجال، لا سيما مع رجل كالحجاج.

كما وقفت أسماء على الحجاج فَقَالَتْ: أَمَا آنْ لِهَذَا الرَّاكِبِ أَنْ يَنْزِلَ؟ قَالَ: الْمُنَافِقُ، قَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا كَانَ مُنَافِقًا، وَلَقَدْ كَانَ صَوَّامًا قِوَامًا، قَالَ: اسْكُتِي فَإِنَّكِ عَجُوزٌ قَدْ خَرِفْتِ، قَالَتْ: مَا خَرِفْتُ، مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْنَاهُ تَعْنِي الْمُخْتَارَ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ " زَادَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: فَقَالَ الْحَجَّاجُ فِي حَدِيثِهِ مُبِيرُ الْمُنَافِقِينَ[2]

وإذا كان جهاد المنافقين ضمن الجهاد المشروع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم ٩] ، فقد كان للمرأة – في زمن النبوة – إسهام في جهاد المنافقين، وحين نجم نفاق أبي عفك (شيخ من بني عمرو بن عوف) وكان يُحرض على عداوة النبي . صلى الله عليه وسلم ., ولا سيما بعد قتل النبي . صلى الله عليه وسلم . للحارث بن سويد بن صامت، وانتصاره . صلى الله عليه وسلم . على المشركين ببدر، وقال في ذلك شعرًا حينها قال النبي . صلى الله عليه وسلم .: مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ، فَخَرَجَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، (أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ)

إليه فَقَتَلَهُ، فَقَالَتْ أُمَامَةُ الْمُزَيْرِيّة[3] فِي ذَلِكَ:

تُكَذِّبُ دِينَ اللّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدَا ... لَعَمْرُ الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ مَا يُمْنِي

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً ... أَبَا عَفَكٍ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنّ[4]

---

(١) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها – ٤ / ١٩٧١، ١٩٧٢ – ح ٢٥٤٥)

(٢) معجم الطبراني الكبير: ١٠١/٢٤، والمبير (المهلك) والحجاج كان مسرفًا في القتل

(٣) وعند الواقدي (النهدية): المغازي ١ / ١٧٥ وعند ابن حجر (الربذيّة): الإصابة ١٢ / ١٣٠

(٤) ابن هشام: السيرة ٤ / ٣٧٧، الواقدي: المغازي ١ / ١٧٤، ١٧٥

وهكذا تكامل جهاد الصحابة (رجالاً ونساءً) للمنافقين، فالرجال بسنانهم، والنساء بألسنتهن وشعرهن.

و (درة بنت أبي لهب) حين دخل على زوجها (دحية بن خليفة) نفرٌ من المنافقين، فقال بعضهم لبعض: إنما مثل محمد كمثل عذق نبت في فناء، تحركت عاطفة المرأة، وذهبت لأم سلمة رضي الله عنها تشكو لها الأمر، وتخبرها بمقولة المنافقين.[1]

وحين نعود للشعر وصدقه وجزله، وجهاد المرأة فيه، لا بد من ذكر الخنساء (تماضر بنت عمرو) الشاعرة التي قيل: أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها[2] وكان النبي . صلى الله عليه وسلم . يستنشدها الشعر ويعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول: هيه يا خناس ويومي بيده[3] وهي التي روي أنها وعضت أبناءها الأربعة وحرضتهم على القتال وعدم الفرار في معركة القادسية حتى قتلوا جميعا، فما زادت على قولها (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[4].

وهل أبكت المرأة بشعرها النبي . صلى الله عليه وسلم . وإن كانت تتوجع لقتيل كافر؟ هذا ما ذُكر عن (قتيلة بنت النظر بن الحارث) حين أنشدت النبي . صلى الله عليه وسلم . أبياتًا من الشعر تستعطفه وتطلب لو منّ على أبيها (النظر) بدل قتله صبرًا، وتقول:

هل يسمعن النضر إن ناديته... بل كيف يسمع ميتٌ لا ينطق

إلى أن تقول:

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١٢ / ٢٤٦ ونسبه ابن حجر إلى ابن مندة

(٢) ابن حجر: الإصابة ١٢ / ٢٢٧

(٣) المصدر السابق: ١٢ / ٢٢٦

(٤) ابن حجر: الإصابة ١٢ / ٢٢٨

قسرًا يقاد إلى المنية متعبًا... رسف المقيد وهو عانٍ موثق

أمحمد ولدتك خير نجيبةٍ... من قومها والفحل فحلٌ معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما... منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من قتلت قرابةً... وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق

فلما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك بكى حتى أخضلت لحيته وقال: لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته، قال الزبير بن بكار: سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الأبيات ويقول: أنها مصنوعة، وقال ابن حجر: ولم أر التصريح بإسلامها (قتيلة) لكن إن كانت عاشت إلى الفتح فهي من جملة الصحابيات[1].

وحين توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رثاه الشعراء، وكان للمرأة إسهام وافر في هذا الرثاء، وممن رثينه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عماته أروى، وعاتكة، وصفية بنت عبد المطلب، وهند بنت الحارث بن عبد المطلب، وكذا هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب (أخت مسطح بن أثاثة)، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وأم أيمن – ذكرهن الواقدي –[2].

ب) المشاركة في الغزو:

أما جهاد المرأة بالسنان فقد ورد مشاركة المرأة في عدد من الغزوات، ووقع الخلاف بين الإذن لها ونسخه، وبين مشاركتها لأغراض سقاية العطشى، ومداواة الجرحى، أو لغرض القتال والمشاركة في الإجهاز على الأعداء، وإليك البيان:

في معركة (بدر) استأذنت (أم ورقة الأنصارية) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الخروج معه والهدف كما قالت – لأمرض مرضاكم – ثم لعل الله يرزقني الشهادة،

---

(١) انظر ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٩٥، ٩٦

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ٢ / ٣٢٥ - ٣٢٣

فرد عليها النبي . صلى الله عليه وسلم . وقال: قري في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة، فكانت تسمى الشهيدة.[1]

ولم تذكر كتب السيرة أن امرأة شهدت بدرًا مع النبي . صلى الله عليه وسلم ..

في غزوة (أحد) ثبت في الصحيح أن أم سليط (والدة أبي سعيد الخدري) رضي الله عنهما كانت تَزْفِرُ القرب للمسلمين في أحد[2] كما ثبت أن عائشة، وأم سليم رضي الله عنهما كانتا مشمرتين، يُرى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ المقاتلين المسلمين، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ[3]

وعند ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه: وكانت النساء يوم أحد يُجهزن على الجرحى ويسقين الماء ويداوين الجرحى[4].

بل ذكرت بعض المصادر أن المرأة أبلت في القتال – في أحد – بلاءً حسنًا، وقد ذكر ابن سعد وغيره قتال (أم عمارة: نسيبة بنت كعب) في أحد، وإنها قاتلت وأبلت بلاءً حسنًا، وجُرحت اثني عشر جرحًا، لا سيما حين كانت الدولة على المسلمين، وحين نادى المنادي إلى (حمراء الأسد) خرجت وشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، حتى إذا عاد النبي . صلى الله عليه وسلم . من حمراء الأسد سأل عنها، فلما أُخبر بسلامتها سُرّ بذلك[5].

---

(١) الإصابة لابن حجر: ١٣ / ٣٠٤

(٢) صحيح البخاري. غزوة أحد: ح ٤٠٧١

(٣) البخاري (٤٠٦٤) ومسلم (١٨١١)

(٤) المغازي (تحقيق د – العمري) ص ٢٣٢

(٥) الطبقات ٨ / ٤١٣ . كما نقل ابن حجر مباشرتها للقتال في أحد وأنها قتلت فارسًا من المشركين (الإصابة ١٣ / ٢٥٨)

كما ورد أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال بشأن قتالها في أحد: (لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان) وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال[1] قال الذهبي عنها (أم عمارة) المجاهدة شهدت أحدًا، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت وفعلت الأفاعيل، وقُطعت يدها في الجهاد[2].

وعند ابن سعد أن قطع يدها كان باليمامة[3].

وكان للمرأة في (أحد) دور في الإجهاز على جرحى المشركين، فقد روى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: كانت النساء يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين[4].

وإلى جانب هذا وذاك قامت المرأة في أحد بتقريع المنهزمين من المسلمين، فقد لقيت (أم أيمن) طائفة من المسلمين منهزمة، فجعلت تحثوا في وجوههم التراب وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك[5].

وفي غزوة الأحزاب كفى الله المؤمنين القتال، ومع ذلك ذُكرت المرأة في الغزوة، فصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها كانت في حصن حسان بن ثابت مع الذرية، فمر بالحصن يهودي فجعل يطيف بالحصن يستمع ويَتخبّر، فطلبت صفية من حسان قتله فاعتذر، فنزلت ومعها عمود فختلت اليهودي حتى قتلته بالعمود[6].

---

(١) الطبقات ٨ / ٤١٣ والرواية عن حفيدها: حمزة بن سعيد المازني وهو ثقة (تهذيب التهذيب: ٤ / ٤٦٦)

(٢) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٧٨

(٣) الطبقات: ٨ / ٤١٦

(٤) المسند: ١ / ٤٦٣، المغازي: ص: ٢٣٧، ٢٣٨، وسبل الهدى والرشاد للصالحي: ٤ / ٣٠٠

(٥) سبيل الهدى والرشاد: ٤ / ٢٩١

(٦) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٤١، ونقلها ابن حجر في الإصابة عن ابن أبي خيثمة، وابن مندة، وغيرهم، ولم يعلق على القصة بصحة أو ضعف (الإصابة: ١٣/١٩)، كما روى القصة ابن إسحاق. انظر: (سيرة ابن هشام، تحقيق همام وأبي صعيليك: ٣/٣١٧، ٣١٨)، وحكم عليها المحققان بالضعف، كما حكم على القصة بعدم الصحة إبراهيم العلي (صحيح السيرة النبوية: ص٢٧٦، ٢٧٧).

وعند الحاكم عن هشام عن أبيه (عروة) قالت صفية: أنا أول امرأة قتلت رجلاً، ثم ذكرت قصتها مع (حسان) و (اليهودي) حتى قتلته[1].

وفي غزوة بني المصطلق (المريسيع) أقرع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين نسائه – وكان إذا أراد سفرًا أقرع بينهن - فخرج السهم على عائشة رضي الله عنها، فخرجت معه في الغزوة[2] وهل خرج معه غير عائشة؟ ذكر الواقدي خروج أم سلمة مع عائشة[3] وضعفه ابن حجر وقال: ولم يقع لأم سلمة في تلك الغزوة ذكر[4] وهل وقع قتال في تلك الغزوة، وهل شاركت المرأة فيه؟

ذُكر القتال والإغارة على اختلاف بين أهل الحديث وأهل السير[5] لكن لم يذكر أحد منهم مشاركة المرأة (عائشة) في شيء من ذلك، وإن قال أحد الباحثين: في الغزوة من الأحكام والعبر: مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك[6].

أما في الحديبية فلم يخرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقتال، إنما خرج معتمرًا معظمًا للبيت، فقد أحرم بالعمرة وأحرم معه أصحابه من ذي الحليفة[7] وقد قال لبعض أصحابه: لست أحب حمل السلاح معتمرًا[8].

---

(١) المستدرك: ٤ / ٥١ وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن عروة لم يدرك صفية (التلخيص ٤ / ٥١) وسكت عنه في السير: ٢ / ٢٧٠، ٢٧١ ورواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ولكنه مرسل (مجمع الزوائد: ٦ / ١٣٤)

(٢) انظر: صحيح البخاري (المغازي) باب حديث الإفك ح ٤١٤١، و (التفسير) سورة النور ح ٤٧٥٠، والطبراني: وفيها التصريح باسم الغزوة (مجمع الزوائد: ٩ / ٢٣٢

(٣) المغازي: ٢ / ٤٢٦

(٤) الفتح: ٨ / ٤٥٨ وقال إن ابن إسحاق لم تذكر (أم سلمة) وهي بنفس سند الواقدي

(٥) انظر ابن حجر: الفتح ٧ / ٤٣٠، ٤٣١

(٦) مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٤٤١)

(٧) انظر البخاري (غزوة الحديبية) ح: ٤١٤٩، ح ٤١٥٧

(٨) الواقدي: المغازي ٢ / ٥٧٣

وقد ثبت خروج أم سلمة رضي الله عنها معه في الحديبية[1] وثبت أنها كانت صاحبة الرأي للنبي . صلى الله عليه وسلم . أن يحلق رأسه – حين تأخر أصحابه بالحلق – فلما فعل ذلك جعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا.[2]

لقد كان أمرًا عظيمًا أن يتأخر المسلمون عن أمر أمرهم به النبي . صلى الله عليه وسلم ، حتى جلَّ الله عنهم ذلك بأم سلمة - كما جاء في بعض الروايات[3] وأيًا ما كانت التفسيرات والدوافع التي أخرت المسلمين عن الحلق[4] ففي الحديث من الفقه: مشاورة المرأة الفاضلة، وفضل أم سلمة ووفور عقلها، حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة وقد اُستدرك عليه ببنت شعيب في أمر موسى[5].

وكذلك يتضح أن مشورة المرأة أحد المساهمات المهمة لها في الغزوات، على أن بعض المصادر تذكر خروج عدد من النساء – يوم الحديبية – مع أم سلمة، قال الواقدي: وخرج معه أربع نسوة: أم سلمة، وأم عمارة، وأم منيع، وأم عامر الأشهلية[6].

وفي غزوة (خيبر) خرج معه . صلى الله عليه وسلم . عدد من النساء، فأم سلمة رضي الله عنها أخرجها . صلى الله عليه وسلم . معه لغزوة خيبر[7] وابن إسحاق يقول: وشهد خيبر مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من الفيء، ولم يضرب لهن بسهم[8].

---

(١) انظر ابن سعد: الطبقات ٢ / ٩٥، صحيح البخاري: ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط ح: ٢٧٣١، ٢٧٣٢

(٣) انظر: ابن حجر (الفتح ٥ / ٣٤٧)

(٤) المصدر السابق (٥ / ٣٤٧)

(٥) المصدر نفسه (٥ / ٣٤٧) والإصابة: ١٣ / ٢٢٤

(٦) المغازي: ٢ / ٥٧٤

(٧) ابن سعد: الطبقات ٢ / ١٠٦

(٨) انظر: السيرة لابن هشام ٣ / ٤٧٦

ثم ساق ابن إسحاق بإسناده إلى امرأة[1] من بني غفار – سميت له – قالت: أتيت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في نسوة من بني غفار، فقلن يا رسول الله: قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا – وهو يسير إلى خيبر – فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله قالت: فخرجنا معه.. قالت: فلما فتح رسول الله . صلى الله عليه وسلم . خيبر رضخ لنا من الفيء، وأشارت إلى قلادها في عنقها أعطاها إياها.[2]

ونقل ابن كثير هذه الرواية عن ابن إسحاق – بنفس السند – ثم قال في نهايتها: وهكذا رواه الإمام احمد وأبو داود من حديث ابن إسحاق به.[3]

كما رواها الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم، عن أم علي بنت الحكم ومصرحا باسم المرأة الغفارية وهي: أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية.[4]

وقد ذكرت رواية عند الإمام أحمد ستًا من النساء خرجن في خيبر[5] وزاد الواقدي عددهن إلى عشرين امرأة، وسماهن.[6]

كما حدد عدد من النساء اللاتي خرجن مهمتهن في الخروج، ففي رواية أحمد أن الست من النساء دعاهن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حين علم بخروجهن فقال: ما

---

(١) قال السهيلي: ويقال اسمها ليلى، ويقال هي امرأة أبي ذر الغفاري (الروض الأنف ٦ / ٥٧٢) وسيأتي من رواية الواقدي غير ذلك.

(٢) ابن هشام: السيرة ٣ / ٤٧٦، ٤٧٧ وسنده: حدثني سلمان بن سحيم عن أمه بنت أبي الصلت، عن امرأة من بني غفار – سماها لي – (وقد وقع خطأ في سند هذه الرواية عند أبي صعيليك، والدكتور همام – فلينتبه له –)

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية ٣ / ٣٨٧

(٤) المغازي ٢ / ٦٨٥، وذكر الرواية عن الواقدي أبو الحجاج المزي في أطرافه (ابن كثير: السيرة ٣ / ٣٨٨) ولعل مما يقوي هذا أن سليمان بن سحيم روى عن أمه آمنه بن الحكم الغفارية، وآمنة بنت أبي الصلت، وقد وثقه غير واحد من الأئمة (التهذيب: ٤: ١٩٣، ١٩٤) ولعله وقع الخلط في اسمها بين ليلى وأمه وأمية، وآمنة، وسواء كان أبوها الحكم أو أبا الصلت (ابن حجر: الإصابة ١٢ / ١٥٠) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٢٣٠

(٥) انظر السيرة لابن كثير: ٣ / ٣٨٨

(٦) المغازي: ٢ / ٦٨٥ – ٦٨٧

أخرجكن؟ وبأمر من خرجتن؟ وقد رأين في وجهه الغضب، فقلنا: خرجن نناول السهام، ونسقي السويق، ومعنا دواء للجرحى، ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله، قال: فمرن فانصرفن.[1]

وفي رواية أم سنان الأسلمية قلت: يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا، أخرز السقاء وأداوي المرضى والجريح إن كانت جراح - ولا يكون - وأنظر الرَّحل، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: اخرجي على بركة الله فإن لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فكوني مع أم سلمة.[2]

وهكذا يظهر أن (غزوة خيبر) ظفرت بأكثر عدد من النساء يخرجن للغزوة، ويلفت النظر خروج نساءٍ حبلى بل قريبات الوضع، فقد ذكرت الروايات ولادة اثنتين منهن في خيبر وهن: امرأة عاصم بن عدي[3] وامرأة عبد الله بن أنيس حيث ولِد له بخيبر .[4]

ولئن كانت المرأة لم تشارك في القتال بشكل مباشر، فقد كانت تناول السهام، وتنظر في الرحل، وتجهز الغزاة بغزلها، ولم تكن بعيدة عن معترك القتال، وهذه أم سلمة رضي الله عنها تقول: سمعت وقع السيف في أسنان مرحب.[5]

وفي غزو (حنين) شاركت المرأة واتخذت عدة القتال وأقرها النبي . صلى الله عليه وسلم . بل ضحك لصنيعها فقد ثبت أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرًا وكان معها، فرآها أبو طلحة فقال يا رسول الله: هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته إن دنا منِّي أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يضحك قالت يا

---

(١) ابن كثير: السيرة ٣ / ٣٨٨

(٢) الواقدي: المغازي ٢ / ٦٨٦ ، ٦٨٧ وابن سعد : الطبقات ٨ / ٢٩٢ وفيه: وأبصر الرحل بدل: وانظر الرحل

(٣) الواقدي: المغازي ٢ / ٦٨٥

(٤) الواقدي: المغازي ٢ / ٦٨٧

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب (في هامش الإصابة) ١٣ / ٢٣٢

رسول الله: اقتل مَن بعدنا من الطلقاء انهزموا بك؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن.[1]

فالمرأة هنا تتخذ آلة القتال الممكنة لها (الخنجر) وتهدد بالقتل من اقترب منها، ثم هي تضيق بمن انهزم من جند المسلمين (الطلقاء) وتطلب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتيح لها الفرصة لقتلهم، فيعتذر لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكفاية الله وإحسانه..

إنها مواقف بطولية تذكر للمرأة لا سيما في أوقات الشدائد وتراجع الرجال؟ وليس يخفى أن زمن (حنين) زمن كثرة للمسلمين ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وزمن تولية الأدبار ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ وحين توجد المرأة وتنعى على المنهزمين فذلك وسام شرف وأمارة ثبات، يُذكر للمرأة في عصر النبوة، وخليق بالمرأة المعاصرة أن تعقله وتستفيد منه.

وبعد هذا العرض عن مشاركات المرأة في الغزو يَرِد السؤال المهم:

هل بقي الإذن لها بالمشاركة في الجهاد أم نُسخ؟

أخرج ابن أبي شيبة ومطين والطبراني وغيرهم من طريق الأسود بن قيس[2] عن سعيد بن عمرو القرشي[3] أن أم كبشة امرأة من قضاعة قالت: يا رسول الله ائذن لي أن أخرج في جيش كذا وكذا، قال: لا، قلت: يا رسول الله إني لست أريد أن أقاتل، إني أريد أن أداوي الجرحى والمرضى، واسقي الماء، قال: لولا أن تكون سنة ويقال فلانة خرجت

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال ٣ / ١٤٤٢ ح ١٨٠٩، وأبو داود (٢٧١٨) بسند جيد، وابن سعد بسند صحيح كما قال ابن حجر (الإصابة ١٣ / ٢٢٧)

(٢) الأسود بن قيس العبدي: ثقة من الرابعة (التقريب ص ١٤٦).

(٣) سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي: ثقة من صغار الثالثة (التقريب ص ٣٨٥) و (التهذيب ٤ / ٦٨)

لأذنت لك، ولكن أجلسي[1] وأخرج ابن سعد عن ابن أبي شيبة، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي[2] عن حسن بن صالح عن الأسود بن قيس، عن سعيد بن عمرو، عن أم كبشة.. بنحوه، وقال . صلى الله عليه وسلم . في نهايته: اجلسي لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو بامرأة.[3]

وحاول ابن حجر الجمع بين هذه الرواية، وما سبق – في مشاركات المرأة – فقال: ويمكن الجمع بين هذا وبين ما تقدم في ترجمة (أم سنان الأسلمي) أن هذا ناسخ لذلك، لأن ذلك كان بخيبر، وقد وقع قبله بأحد كما في الصحيح من حديث البراء بن عازب، وهذا كان بعد الفتح.[4]

وعندي أن هذا الجمع يحتاج إلى نظر، إذ كيف يجاب على مشاركة المرأة – في حنين – كما ثبت في الصحيح – وقد سبق – وحنين بعد خيبر والفتح، وأمرٌ آخر فهذه الرواية غير محددة في غزوة، وغاية ما جاء فيها (في جيش كذا وكذا) وفهم ابن حجر أنها بعد الفتح.. لكنه لم يحدد في أي غزوة أو جيش أو سنة، كيف وقد ثبت مشاركتها في (حنين) وهي بعد الفتح

على أن مشاركة المرأة في الغزو – في عهد النبوة – تسنده نصوص أخرى صحيحة، ومتأخرة ففي - صحيح مسلم – كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله: هل كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبت تسألني هل كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٦ / ٥٣٨ ، والطبراني في الكبير ٢٥ / ١٧٦ ، وقال الهيثمي في المجمع ٥ / ٣٢٣: رجاله رجال الصحيح وانظر الإصابة لابن حجر: ١٣ / ٢٧١

(٢) حميد الرؤاسي: مقبول من الثالثة (التقريب ص ٢٥٧)

(٣) الطبقات: ٨ / ٣٠٨.

(٤) الإصابة: ١٣ / ٢٧١.

يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويُحذين من الغنيمة، وأما بسهم فلا يضرب لهن.[1]

وفي رواية أخرى قال ابن عباس: لـ (نجدة الحروري) وسألت عن المرأة والعبد، هل كان لهما سهم معلوم إذا حضروا البأس؟ فإنهم لم يكن لهم سهم معلوم، إلا أن يُحذيا من غنائم القوم[2] فالمتحدث هنا ابن عباس رضي الله عنهما، والمصدر أحد الصحيحين، والزمن متأخر إلى أيام الخوارج.

وإذا كان هذا ما نقله ابن عباس، فأنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.[3]

بل هناك شاهدة عيان (أم عطية الأنصارية) تقول: غزوت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى.[4]

وقال ابن عبد البر: كانت أم عطية من كبار نساء الصحابة، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمرض المرضى وتداوي الجرحى، ثم ذكر أنها معدودة في أهل البصرة، وأن جماعة من الصحابة والتابعين كانوا يأخذون عنها العلم[5].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم (٣ / ١٤٤٤) {حديث: ١٨١٢}

(٢) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٤٦

(٣) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٤٣ ح ١٨١٠

(٤) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٤٧ ح ١٨١٢

(٥) الاستيعاب (بهامش الإصابة ١٣ / ٢٥٦، ٢٥٧)

وهذا يعني تأخر وفاتها، فما المانع أن تكون أحد هذه الغزوات السبع متأخرة في العهد النبوي؟

وجاء في ترجمة (نسيبة بن كعب) رضي الله عنها أنها شهدت أحدًا، والحديبية، وخيبر والعقبة، والفتح، وحنينًا، واليمامة[1] مما يؤكد أن مشاركة المرأة في الغزو في أخريات حياة النبي . صلى الله عليه وسلم . وبعد مماته.

ولم تكن (أم عمارة) هي الوحيدة في ذلك، فأم حكيم (زوج عكرمة بن أبي جهل) رضي الله عنه وعنها، تخرج مع زوجها عكرمة إلى غزوة الروم[2] ثم خرجت بعد وفاة زوجها إلى وقعة (مرج الصفر) وبه تزوجها خالد بن سعيد بن العاص وقد قالت له (أم حكيم) حين أراد الدخول بها: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع، فقال: إن نفسي تحدثني أني أقتل قالت: فدونك، فأعرس بها عند قنطرة عُرفت بقنطرة (أم حكيم) ثم وقع القتال بين المسلمين والروم فاستشهد خالد، وشدت أم حكيم عليها ثيابها فقاتلت يومئذ، فقتلت بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم.[3]

وهذا كذلك شاهد على استمرار خروج المرأة في الغزو، بل وفي مشاركتها في القتال وأم موسى بن نصير اللخمية، ذكر الرشاطي، وعنه ابن حجر أنها شهدت مع زوجها (اليرموك) فقتلت حينئذ علجًا، وأخذت سَلَبه، وكان عبد العزيز بن مروان يستحكيها الخبر فتصفه له وتقول: بينما نحن في جماعة من النساء إذ جال الرجال جولة، فأبصرت علجًا يجرُّ رجلاً من المسلمين فأخذت عمودًا من الفسطاط ثم دنوت منه فشرخت رأسه، وأقبلت أسْلِبُه فأعانني الرجل على أخذه[4] فهي ليست وحدها بل معها مجموعة نساء، وهي لا تكتفي بمجرد الخروج بل وتقتل العلوج!! كما نقل البغوي

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٢٥٧، ٢٨٥

(٢) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ١٩٧

(٣) المصدر السابق: ١٣ / ١٩٧

(٤) ابن حجر: الإصابة ١٣ / ٢٩٧

بسنده عن ابن إسحاق أن نساءً من قريش قاتلن بالسيوف في معركة اليرموك سنة (١٥هـ) حين دخل عسكر المسلمين حتى سابقن الرجال منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام[١]

أما (أم حرام بنت ملحان) زوج (عبادة بن الصامت) رضي الله عنهما فهي نموذج لعلو همة المرأة في الغزو وركوب البحر، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبارك لها هذه الهمة، ويدعوا لها بتحقيقها وخبرها كما في صحيح البخاري وغيره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل عليها فاتكأ عندها[٢] ثم ضحك، فقالت لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة، فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم أجعلها منهم، ثم عاد فضحك، فقالت له: مثل، أو مم ذلك؟ فقال لها مثل ذلك فقالت: أدع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين، قال أنس (الرواي): فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة[٣] فلما قفلت ركبت دابتها فوقصت بها فسقطت عنها فماتت.[٤]

فهذه امرأة تشارك في الغزو بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل وبإقرار منه ودعاء وليست وحدها، بل ذُكر معها زوج معاوية[٥] وهو أمير الجيش حينئذ، ومعه أبو ذر، وأبو

---

(١) المعرفة والتاريخ: ٣/٣٠٠.

(٢) وفي الرواية الأخرى: قال عندها ، فاستيقظ وهو يضحك.

(٣) زوج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب غزو المرأة في البحر (ح ٢٨٧٧ ، ٢٨٧٨) ابن سعد: الطبقات ٨ / ٤٣٥

(٥) قيل اسمها: فاختة بنت قرظة ، وقيل: كنود بنت قرظة (الفتح ٦ / ٧٦) و (الإصابة ١٣ / ١٩٣)

الدرداء، وغيرهما من الصحابة في خلافة عثمان رضي الله عنه، سنة (٢٧) من الهجرة، وكانت الغزوة (غزوة قبرص).[١]

وأورد البخاري الرواية عن (أم حرام) في موضع آخر، وبنحو السياق السابق، وفي نهايته: فتزوج بها عبادة، فخرج بها إلى الغزو، فلما رجعت قُرِّبت دابة لتركبها، فوقعت فاندقت عنقها.[٢]

على أن المتأمل يلحظ أن البخاري ربما يومئ إلى قتال المرأة، فأحد أبوابه (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال)[٣] وفهم ابن المنير من ذلك أمرين:

أ) أن إعانتهن على الغزو غزو.

ب) أنهن ما ثبتن لسقي الجرحى ونحو ذلك إلا وهن بصدد أن يدافعن عن أنفسهن وهو الغالب.[٤]

وفهم ابن حجر أن البخاري قصد السؤال يعني هل هو سائغ؟ أو الاقتصار على ما ذُكر في الحديث من مداواة الجرحى ونحوه.[٥]

وربما عضد رأي ابن المنير، وابن حجر، أن البخاري عقد (باب جهاد النساء) ثم ساق به حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فاستأذنت النبي . صلى الله عليه وسلم . في الجهاد، فقال: جهادكن الحج[٦] نِعم الجهاد الحج[٧] ولكن قال ابن بطال: دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله (جهادكن الحج) أنه

---

(١) الإصابة: ١٣ / ١٩٣

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد – باب ركوب البحر – ح ٢٨٩٤ ، ٢٨٩٥

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٠

(٤) الفتح: ٦ / ٧٨

(٥) المصدر السابق.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الجهاد – ح ٢٨٧٥

(٧) البخاري – ح ٢٨٧٦

ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد وإنما لم يكن عليهن واجبا، ثم عقب ابن حجر: قلت: وقد لمح البخاري بذلك في إيراده الترجمة مجملة، وتعقيبها بالتراجم المصرحة بخروج النساء إلى الجهاد.[1]

ومما يؤكد هذا المعنى قوله . صلى الله عليه وسلم . لأم سليم: إنه لم يكتب على النساء الجهاد.[2]

وإذا كانت روايات البخاري تؤكد خروج المرأة للجهاد لغرض سقاية العطشى[3] ومداواة الجرحى.[4]

فهي تضيف أغراضاً أخرى لمشاركة المرأة في الجهاد، مثل: رد النساء الجرحى والقتلى إلى المدينة[5] وخدمة المقاتلين.[6]

واستنبط ابن حجر من هذه الأحاديث: جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة.[7]

وأضاف رواية أخرى زادها الإسماعيلي – على روايات البخاري السابقة – (ولا نقاتل)[8] فإن صحت كانت من أدلة القائلين بعدم مباشرة المرأة للقتال في الغزو.

والذي يظهر من هذا العرض واستقراء النصوص: أن خروج المرأة للغزو – في زمن النبوة وبعده – تؤكده نصوص صحيحة وصريحة، وأنها كانت تقوم بأدوار عدة كـ

---

(١) الفتح: ٦ / ٧٦

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٣٢٤) والأوسط (٣٣٦٣) وفيه أن السائل: أم سلمة

(٣) البخاري: كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٠ ، ٢٨٨١

(٤) البخاري: كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٢

(٥) البخاري: كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٢

(٦) البخاري: كتاب الجهاد – ح ٢٨٨٣

(٧) الفتح: ٦ / ٨٠

(٨) الفتح: ٦ / ٨٠

(سقاية العطشى ومداواة الجرحى، والمشورة بالرأي، وغزل الشعر للقتال، والنظر في الرحل، ومناولة السهام ورد الجرحى والقتلى إلى المدينة).

ويقع الخلاف في مشاركتهن في القتال، وحيث صح مدافعة بعضهن عن أنفسهن بالخناجر – كأم سليم – في حنين، فقد ورد مشاركتهن في القتال وقتل الأعداء كما في قصة صفية وقتلها اليهودي في (الأحزاب) و (أم حكيم) تقتل سبعة من الروم، و (أم موسى بن نصير) تشدخ رأس أحد الأعداء وتأخذ سلبه – كما سبق – وعدد من نساء قريش يشاركن بالقتال في اليرموك، وهذا يقوي عندي مشاركتها في القتال لكن عند الحاجة وأمن الفتنة، حيث قيّد عدد من أهل العلم خروج المرأة للغزو بعدد من الضوابط أشير إلى شيء منها:

قال الخطابي تعليقاً على حديث غزوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأم سليم ونسوة معها من الأنصار:

في هذا الحديث دلالة على جواز خروج النساء في الغزو لنوع من الرفق والخدمة.

وحيث ورد – في غير هذا الحديث – رد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء، فيشبه أن يكون رده إياهن لأحد معنيين:

إما أن يكون في حال ليس بالمستظهر بالقوة والغلبة على العدو فخاف عليهن فردهن، أو يكون الخارجات معه من حداثة السن والجمال بالموضع الذي يخاف فتنتهن.[1]

وجاء في السير الكبير: ولا بأس بأن يحضر منهن الحرب العجوز الكبيرة فتداوي الجرحى وتسقي الماء، وتطبخ للغزاة إذا احتاجوا لذلك..

أما الشواب فيمنعن من الخروج لخوف الفتنة، والحاجة ترتفع بخروج العجائز.[2]

---

(١) معالم السنن، شرح سنن أبي داود: ٣ / ٣٧٩، ٣٨٠ – (تحقيق أحمد شاكر، محمد الفقي)

(٢) الشيباني: شرح كتاب السير الكبير ١ / ١٨٥

ويقول الخرقي: ولا يدخل مع المسلمين من النساء إلى أرض العدو إلا امرأة طاعنة في السن لسقي الماء ومعالجة الجرحى.[1]

كما اشترطوا لخروجها للجهاد مع محرمها وبإذنه[2] وأن يكون في عسكر عظيم يؤمن عليها معهم[3].

---

(١) عمر الخرقي: مختصر الخرقي في الفقه الحنبلي ص ١١٨

(٢) الشيباني: شرح السير الكبير ٤ / ٢١٤

(٣) اللباب في شرح الكتاب: ٤ / ١١٨، حاشية الخرشي ٤ / ١٩

دروس وعبر من (فقه دعوة المرأة):

وحين يراد استثمار هذه النصوص في مشاركة المرأة في الدعوة في زمن النبوة وتوظيفها لدعوة المرأة المعاصرة يمكن تسجيل الدروس التالية:

١ – لم تكن المرأة – في زمن النبوة – رقمًا هامشيًا في المجتمع، بل كانت فاعلة ومشاركة وكذلك ينبغي أن تكون المرأة المعاصرة، وإذا عدت مشاركاتها المتعددة كان للدعوة نصيبها وكان للمرأة سهمها في هذا الميدان الرحب.

٢ – لم تقتصر مشاركات المرأة في الدعوة على جانب دون أخر، ولا على حال دون حالٍ أخرى بل شاركت في الدعوة السرية والعلنية، وشاركت في الهجرة والتربية، كما شاركت بمالها وعلمها، آنست وثبتت، صبرت واحتسبت، دافعت عن عرض الصالحين، ودفعت مكر المجرمين وفي ذلك توسيع لدائرة الدعوة، ودعوة للمرأة المعاصرة لممارسة الدعوة في كافة الجوانب والآليات الممكنة للمرأة.

٣ – كما لم تقتصر مشاركتها في الدعوة على فئة دون أخرى، بل شملت الأزواج والأبناء والبنات، والآباء والأمهات، ومن باب أولى أن يكون لها إسهام في دعوة بنات جنسها من القريبات أو البعيدات، والمسلمات وغير المسلمات، وكذلك ينبغي أن تستهدف المرأة المعاصرة جميع الشرائح والطبقات بما لا يهدر كرامتها، ولا يخدش حيائها، فإن ضاق عليها الزمن أو تعددت عليها المسؤوليات، وكثرت الواجبات، فالأقرب المحتاج أولى بالمعروف والدعوة.

٤ – مارست المرأة في - زمن النبوة – الدعوة عبر وسائل عدة، منها المباشر وغير المباشر، ومنها البلاغ بالكلمة والهدية، والتلطف بالقول، ومنها بذل المال والصلة، والبيعة والهجرة، وكان لها جهاد باللسان والسنان، وكما جاهدت المشركين فقد جاهدت المنافقين، ساهمت في محو الأمية فعلَّمَت الكتابة والقراءة، وكان لها إسهام في تعليم الكتاب والسنة.

٥ – واجهت المرأة – في زمن النبوة – مشكلات فتجاوزتها، ومصاعب وتحديات فلم تستسلم لها لامها أهلها على إسلامها وحاولوا ردها بعد هجرتها فلم يظفروا منها بشيء، وضربها القريب فكان صبرها سببًا في إسلام قريبها، وعُذِّبت فثبتت، وتعرضت للبلاء والفتنة فلم تفتتن، وربما اُستشهدت تحت وطأة التعذيب وهي راسخة الإيمان.. وكذلك طريق الدعوة لا يُفرش بالورد ولا يسلم من محن وإحن.. ولكن العاقبة للتقوى، وبذلك يعلم الله الصادقين من الكاذبين وكلما أصاب المرأة المعاصرة من لأوى وعقبات في طريق الدعوة لا بد أن تتذكر الجيل الفريد وأن تقرأ في سير المؤمنات الأول.

٦ – تجاوزت المرأة في زمن النبوة بدعوتها الوطن والعشيرة، فحملت الدعوة إلى (الأحباش) و (الروم) ولم تكن قصرًا على العرب، بل شملت بها العجم، ولم يكن (البر) المجال الوحيد لدعوتها، بل ركبت (البحر) غازية في سبيل الله وداعية للإسلام، وكان لها إسهامها في الدعوة في السهل والجبل، والمدن والقرى، وكذلك ينبغي أن تبلغ الدعوة ما بلغ الليل والنهار، وفي عالم اليوم وسائل وآليات تقصر المسافات، وتبلّغ القريب والبعيد، وبإمكان المرأة المعاصرة أن تستثمرها لصالح الدعوة لدين الله.

٧ – نقلة الإسلام للمرأة نقلة كبيرة وشريفة، فبينا هي مغمورة محتقرة تُعضل وتؤد، إذ هي في الإسلام (شقائق الرجال) تُحترم وتقدر، وتساهم في البناء وتشارك في مجالات الحياة تستشار في المعضلات ويؤخذ برأيها، وتدعو إلى الله فيسلم (الصرم) بدعوتها وتُجير فتجار (لقد أجرنا من أجرت يا أم هاني) وتستأمن لزوجها فتقبل شفاعتها، ومع عظيم مشاركاتها وتعدد مجالات نفعها، لم تفقد أنوثتها، ولم تتخل عن حيائها وكرامتها، وكذلك يصنع الإسلام بالمرأة، يدعوها بل يشجعها على المشاركات الإيجابية، ويصونها عن مزالق الهوى ومراتع الشهوة الهابطة، وينأى بها عن مكان الريب، ومآثم الاختلاط والتبذل والعري.

ومن الجميل أن نختم هذا البحث بسؤال: كيف تسهم المرأة بفاعلية في الدعوة؟

وللإجابة نقول:

مع كثرة المسؤوليات وضيق الوقت، وعظم المسؤولية، نحتاج إلى الوصول للهدف بأقرب طريق وتحقيق أكبر نتائج بأقل تكلفة، وفي مشروع الدعوة للمرأة وتحقيق الفاعلية يمكن اقتراح ما يلي:

١) أن تحرص الداعية أن يكون المستفيد من جهدها أكبر قدر ممكن من النساء فالموضوع الذي يطرح في جلسة محدودة العدد يمكن أن يكون على هيئة محاضرة تكون فيه الدعوة عامة للنساء، ويمكن أن تطور هذه المحاضرة على هيئة مقال أو مقالات في جريدة أو مجلة، ثم تطبع في مطوية أو كتيب.

٢) ومن الأساليب الفاعلة في الدعوة: نشر المحاضرة أو الندوة النسائية في إحدى أو في عدد من مواقع (الانترنت) لتعم الفائدة بها.

٣) ومن أساليب تفعيل المرأة في الدعوة: أن تعتبر عملها في بيتها سهمًا مهمًا في مشاركتها في الدعوة، وتحذيرها لأطفالها لعدد من الممارسات الأخلاقية الخاطئة عنصرًا آخر وسهمًا من سهام الدعوة، وهذا ينبغي أن تشعر المرأة بممارسة الدعوة في محيطها القريب (مع الأولاد، والزوج، والوالدين، والأخوات) فالأقربون أولى بالمعروف ومن توجيهات القرآن: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم ٦].

٤) كما أن إخلاص المرأة العاملة في عملها واستثمار وقتها في الدعوة يعد إسهامًا فاعلاً للمرأة.. وهو جهد ضائع أحيانًا ووقت غير مستثمر أحيانًا أخرى.

إن حسن تحضير المعلمة لدرسها وخدمته بقيم تربوية، وفتحه بقصة أو حكاية هادفة أسلوب تربوي في الدعوة، بل إن حسن خلق المعلمة في تعاملها مع طالباتها وزميلاتها هو في حد ذاته أسلوب ناجح في الدعوة دون كلفة، وهو كذلك يقال لأعمال في أعمال المرأة الأخرى.

٥) ومن عوامل الإسهام بفاعلية في الدعوة لدى المرأة: المشورة بين النساء الداعيات واستفادة بعضهن من تجارب بعض، وترتيب الأدوار حتى لا يتكرر الجهد أو يُغَلَّب جانب على حساب ضمور جوانب أخرى، فإن قلى العدد يمكن أن تعوض بتوزيع الجهد.

٦) استثمار التخصص في خدمة الدعوة، فثمة نساء يحضرن رسائل للماجستير أو الدكتوراه، ومن المهم استحضار شؤون المرأة - في هذه الوسائل - وما أكثرها - والكتابة عنها - وقبل ذلك حسن اختيار الموضوع - ثم خدمته بطريقة علمية تعتمد على الاستبيانات ولغة الأرقام.. والخروج من ذلك بنتائج وتوصيات تخدم الدعوة عمومًا وقضية المرأة على وجه الخصوص، فالمرأة أقدر من غيرها في الكتابة عن شؤونها.

٧) التفكير الجيد في المؤسسات الدعوية رسمية كانت أو خيرية، وتنشيط الدعوة فيها، فالعمل المؤسسي واسع الانتشار، معتمد في الغالب على التخطيط والإدارة والتقارير، وتلك أمور مهمة في الدعوة، واقتراح المزيد منها في عدد من الجهات.

٨) تبني مواقع في الانترنت لدعوة المرأة، لأهمية تأثير هذه المواقع من جهة، ولوجود عدد من المواقع الموجهة للإساءة للإسلام والمسلمين بشكل عام، للمرأة على وجه الخصوص من جهة أخرى، ومع تبني مواقع جديدة، لا بد من دعم المواقع الجيدة القائمة.

٩) الإعلام النسائي (المتميز) بشكل عام بات مطلبًا لدعوة المرأة، فالإعلام القائم - في غالبه - يتحكم في مستقبل المرأة، ويشكل فكرها وعقلها من منظور غربي وهو يريد أن يصوغ ممارستها واهتماماتها على غير ما نريد، فلا بد من البديل؟

لقد مضى زمن على الخيرين والخيرات مارسوا فيه التحذير من آثار هذا الإعلام ولا بد من أن ننتقل اليوم إلى خطوات عملية، ولنا أن نسأل: أين ركن المرأة والأسرة في وسائل الإعلام - من منظور يجسد إيلامنا - ويعتمد على ثقافتنا؟

أين مجلة المرأة المسلمة؟ أين... أين..؟ أسئلة تحتاج إلى إجابة!!

١٠) والمرأة المتميزة بهيئتها ولباسها المحتشم وطريقة تفكيرها الأصيلة والواثقة، ومنطقها الحسن الممتلئ ثقة بالإسلام وعزة بتاريخ المسلمين، أعتقد أن هذه المرأة يمكن أن تكون وسيلةً صامتة للدعوة، لا تحتاج معها إلى (دعاية أو لافتة للدعوة) بل رؤية الأخريات لها بهذا السلوك المتميز والواثق والممثل للإسلام محل التقدير والتأثير.

وبالجملة فتلك وسائل فاعلة في الدعوة بمقدور المثقفة أو غيرها من النساء أن تمارس منها ما تستطيع فلا عذر لأحد، والدعوة مسؤولية الجميع، ومن هدي النبوة (بلغوا عني ولو آية) (والكلمة الطيبة صدقة) (وتبسمك في وجه أخيك صدقة).

المصادر والمراجع

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٢٣٠)

- الطبقات الكبرى / طبعة دار صادر، بيروت.

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميدي المعافري (ت: ٢٢٨هـ)

- السيرة النبوية: تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد: نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض (تحقيق: همام وأبي صعيليك) ط أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٠م نشر مكتبة المنار، الأردن.

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) نشر المكتبة الإسلامية / تركيا.

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)

- صحيح مسلم: تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد / الرياض.

الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ)

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نشر دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

الحاكم: أبو عبد الله محمد بن أحمد الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)

- المستدرك على الصحيحين (تلخيص الذهبي) دار الكتب العلمية.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي (ت: ٧٤٨هـ)

- سير أعلام النبلاء: (تحقيق: إبراهيم الأبياري) نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك من دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧م.

ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)

- الإصابة في تمييز الصحابة دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ
- فتح الباري: (شرح صحيح البخاري) نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد / الرياض.
- تهذيب التهذيب: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تقريب التهذيب: تحقيق: محمد عوّامة، طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

الألباني: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)

- صحيح سنن أبي داود، ط الأولى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج / الرياض.

أحمد بن حنبل: (ت: ٢٤١هـ)

- المسند: شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، تتمة د. الحسيني عبد المجيد.

الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت: ٢٧٧هـ).

- المعرفة والتاريخ: تحقيق: أكرم العمري، ط الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

سليمان بن حمد العودة

- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق دراسة مقارنة في العهد المكي..

النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت: ٦٧٦هـ)

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

الكتاني: الشيخ عبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ).

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت.

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)

- المعجم الكبير: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م.
- المعجم الأوسط: تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير: تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني

- الآحاد والمثاني: تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م

الرفاعي: الدكتور صالح بن حامد الرفاعي

- الأحاديث الصحيحة في فضل المدينة: ط الأولى ١٤٢٧هـ.

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبه الله الدمشقي (ت: ٥٧١هـ)

- تاريخ دمشق: تحقيق صلاح الدين المنجد.

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي

- صحيح ابن حبان: تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت: ٣٠٣هـ)

- سنن النسائي (المجتبى من السنن): مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

العطاوي: أحمد بن يعقوب العطاوي

- المرأة الداعية في العهد النبوي، نشر مكتبة الرشد / الرياض: ١٤٢٠هـ.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)

- جامع البيان في تأويل القرآن: الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

فضل إلهي

- مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الاعتصام.

ابن العربي: محمد بن عبد الله الأندلسي (ت: ٥٤٣هـ)

- أحكام القرآن: تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ

الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)

- المغازي: تحقيق الدكتور: مارسدن جونس، منشورات المؤسسة العالمية للمطبوعات / بيروت.

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥ هـ)

- المصنف في الأحاديث والآثار: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩

- المغازي: تحقيق عبد العزيز العمري، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الصالحي: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

السهلي: أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأنلدسي المالكي (ت: ٥٨١ هـ)

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، نشر: دار الكتب الحديثة / القاهرة.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٤٧هـ)

- السيرة النبوية: تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)

- سنن أبي داود: مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر / بيروت.

الخرقي: أبو القاسم عمر بن الحسين الخرقي (ت: ٣٣٤هـ)

- مختصر الخرقي من مسائل الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق زهير الشاويش، الناشر المكتب الإسلامي.

الشيباني: محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)

- شرح السير الكبير: تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الميداني: عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني (ت: ١٢٩٨هـ)

- اللباب في شرح الكتاب: تحقيق محمود أمين النواوي، الناشر: دار الكتاب العربي.

الخطابي: أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي (٢٨٨ هـ)

- معالم السنن: تحقيق أحمد شاكر، ومحمد الفقي.

الساعاتي: أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي

- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، الطبعة الثاني، دار إحياء التراث العربي.